ابراهيم عميري
سوزان رويه

المدافن والطقوس الجنائزية

في العصور الكلاسيكية في ريف دمشق





المديرية العامة للآثار والمتاحف
مركز الباسل للبحث والتدريب الأثري

المدافن والطقوس الجنائزية

في العصور الكلاسيكية في ريف دمشق

م. ابراهيم عميري

م. سوزان روبه

المدافن والطقوس الجنائزية

في العصور الكلاسيكية في ريف دمشق

منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف

وزارة الثقافة ـ دمشق 2012



صورة الغلاف العربي واجهة المدفن رقم 11 في سوق وادي بردى

صورة الغلاف الانكليزي مخطط واجهة مدفن اللولبة (كنيسة بولس وبطرس) في صيدنايا

إهداء إلى..

ادون ارام

وكل الكائنات الصغيرة..

ابراهيم

سـوزان

الكاتبان في سطور

ابراهيم عميري

مواليد 1966، حصل على شهادة الهندسة المدنية العامة من جامعة دمشق 1990، يعمل في المديرية العامة للآثار والمتاحف منذ 1991 في مجالات ترميم ودراسة وتسجيل المباني الأثرية. ترأس عدة بعثات للتنقيب الأثري في ريف دمشق (حلبون، الضمير، بلودان)، كما شارك ببعثات تنقيب أخرى (منين، المسح الأثري).. إضافة إلى التدريس في معهد الآثار لمواد ترميم الخشب، ومواد وتقنيات العمارة التقليدية، وتاريخ العمارة السورية. أصدر عدة كتب أهمها (سلسلة الجبال الساحلية: قصة التاريخ الغامض والحضارات المنسية) 1994، خان أسعد باشا 1996، ترميم الخشب والزخارف الملونة 2008، معابد منين 2009، تقنيات العمارة النبطية 2009، مواد وتقنيات العمارة القديمة 2010. كما أصدر عدة مقالات حول المواقع الأثرية في المجلات المتخصصة مثل الحوليات الأثرية السورية، والوقائع الأثرية السورية، ومهد الحضارات.

كتب قيد الإصدار: الخانات ومحطات الطرق الأثرية في ريف دمشق، المعابد والحياة الدينية في العصور الكلاسيكية في ريف دمشق.

سوزان روبه

مواليد 1980، حصلت على شهادة الهندسة المدنية الإنشائية من جامعة دمشق 2004، تعمل في المديرية العامة للآثار والمتاحف منذ 2005 في مجالات ترميم وتسجيل ورسم الأبنية الأثرية. شاركت ببعثات التنقيب الأثري في ريف دمشق (بلودان، الضمير، المسح الأثري).

تقديم

تفتقر المكتبة العربية إلى مراجع الآثار بشكل عام؛ كون ما جرت العادة عليه أن يعمل في هذا الحقل باحثون من جنسيات مختلفة، لكنهم ليسوا سوريين. واليوم نجد نشاطاً علمياً متزايداً للشباب السوري، يجعلنا نؤمن بأن الزمن القادم، هو لأبناء هذا الوطن.

إن العمل الذي يقدمه المهندسان السيد ابراهيم عميري والسيدة سوزان روبه، يجعلنا مطمئنين لوجود جهد علمي تخصصي حقلي مباشر في مضمار العمل الأثري.

ومما لا شك فيه أن محافظة ريف دمشق تعتبر من أكبر المحافظات السورية حجماً، وتحتاج إلى الكثير من العمل الدؤوب للكشف عن حضاراتها، وهي التي أهملت وقتاً طويلاً، إلى أن دأب على دراستها والتنقيب فيها باحثون سوريون، لنعرف أصل ومبدأ تطور مدينة مهمة كدمشق التي أحاطت بها هذه المساحة الكبيرة، والتي كانت دليل فهمها، كون دمشق مأهولة، ومن الصعب التنقيب فيها. إن لحمة دمشق وريفها تجعلنا نشغف لمعرفة المزيد عن ريفها، والذي هو جزء أيضاً من هذا الوطن الذي عمره الإنسان بحضارة متميزة على مر العصور.

ولعل الباحث المهندس ابراهيم عميري الذي له باع طويل في هذا النوع من الدراسات الميدانية، والذي شاركته المهندسة سوزان روبه في وضع هذا الكتاب ليفيدان الباحث والدارس في مجال تندر فيه مثل هذه الأبحاث، وبذلك يكون مركز الباسل للبحث والتدريب الأثري قد قدم للقارئ ما فيه الإفادة.

مديرة مركز الباسل للبحث والتدريب الأثري

الدكتورة يسرى الكجك

المقدمة

تعتبر محافظة ريف دمشق من المحافظات الغنية بمواقعها الأثرية من العصور الكلاسيكية والتي تضم الكثير من العمارة الجنائزية، وقد حفظت لنا تلك المواقع أشكالاً متنوعة من المدافن، تتراوح ما بين البسيطة جداً (مجرد حفرة في التراب) إلى المباني الصرحية التي لا تقل فخامة عن المباني الإدارية والدينية في تلك العصور.. مروراً بمختلف أنواع المدافن المعروفة في العصور الكلاسيكية، إضافة إلى العناصر الأخرى كالشواهد والتماثيل والزخارف..
من هنا تأتي ضرورة جمع تلك المواقع في كتاب واحد، يعطي صورة واضحة عن العمارة الجنائزية في ريف دمشق، ويقترب كثيراً من العمارة الجنائزية في العصور الكلاسيكية بشكل عام.. خاصة مع غياب هذا النوع من الكتب باللغة العربية وندرته باللغات الأجنبية في المكتبة السورية.

تم اعتماد فترة العصور الكلاسيكية بشكل عام، دون الدخول بتفاصيل تقسيماتها الهلنستية والرومانية، واعتبار العصر البيزنطي ضمن تلك العصور، بسبب التشابه الكبير بينها، من حيث العمارة الجنائزية على الأقل، والطقوس المرافقة، واستمرار استخدام نفس المدافن لفترات طويلة قد تمتد لعدة مئات من السنين..
كما تم الاعتماد على وصف وتوثيق المواقع دون الغوص بالدراسات التحليلية للوصول إلى نتائج معينة اعتماداً على المعطيات العامة المتعلقة بثقافة العصور الكلاسيكية ومعتقداتها من خلال إسقاطها على منطقة ريف دمشق دون وجود أدلة واضحة تدعمها وتؤكدها، لأن تفاصيل هذا الموضوع قد تختلف كثيراً من مكان لآخر ضمن نفس العصر ونفس المنطقة.

تم جمع معلومات هذا الكتاب من خلال أعمال بعثة المسح الأثري في ريف دمشق وما رافقها من زيارات ميدانية متكررة للمواقع الأثرية، ومراجعة معظم ما كتب عن هذا الموضوع في المراجع العربية والأجنبية، إضافة إلى مراجعة وثائق وملفات دائرة آثار ريف دمشق.. وأخيراً الاطلاع على نتائج أعمال التنقيب للمدافن التي اكتشفت خلال السنوات الماضية.. وهنا لا بد من الإشارة للتعاون الكبير من قبل كافة موظفي دائرة آثار ريف دمشق، وخاصة مدير آثار ريف دمشق، الدكتور محمود حمود الذي قدم للموضوع كل ما يحتاجه من معلومات أغنت الكتاب بشكل كبير وساهمت بتقديم صورة أكثر شمولاً للعمارة الجنائزية في ريف دمشق في العصور الكلاسيكية.. ليأتي هذا الكتاب مكملاً للمشروع الذي كان قد بدأه بكتابه (شعائر الدفن وطقوسه القديمة في منطقة دمشق والجنوب السوري)، وبذلك يصبح موضوع العمارة الجنائزية في ريف دمشق مغطى منذ أقدم العصور وحتى نهاية العصر البيزنطي. في الوقت

نفسه، يأتي هذا الكتاب مكملاً لكتاب آني سارتر الصادر عام 2001 باللغة الفرنسية حول العمارة الجنائزية في العصور الكلاسيكية في الجنوب السوري، لتصبح منطقة الجنوب السوري وريف دمشق مدروسة بشكل جيد فيما يتعلق بالعمارة الجنائزية في العصور الكلاسيكية.

في النهاية، نشكر الباحثين الفرنسيين بيير لوي غاتييه Pierre Louis Gatier وجوليان أليكو Julien Aliquot على المساعدة الجمة التي قدماها للموضوع من خلال ترجمة النصوص المكتشفة، وذلك من خلال عملهما ضمن سلسلة (النصوص اليونانية واللاتينية في سورية IGLS).

وإلى كل الذين ساهموا بمراجعة وتقييم الكتاب وتدقيقه وتقديم الملاحظات المهمة التي أغنت الموضوع وجعلته أكثر دقة.

ابراهيم عميري　　　　سوزان روبه

دمشق 2012

المحتويات

الباب الأول

مقدمات عامة

جغرافية ريف دمشق

تقع محافظة ريف دمشق جنوب غرب سورية، ما بين خطي الطول 35 درجة و51 دقيقة غرباً و38 درجة و51 دقيقة شرقاً، وخطي العرض 33 درجة و5 دقائق جنوباً و34 درجة و12 دقيقة شمالاً. تبلغ مساحتها حوالي 18 ألف كيلو متر مربع، ويصل عدد سكانها إلى حوالي 3 ملايين نسمة، وتتركز فيها معظم النشاطات الصناعية والزراعية والسياحية المحيطة بالعاصمة السورية.

تتنوع أقاليمها الجغرافية التي تضم الجبال والوديان والهضاب والسهول والبوادي.. ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقاليم رئيسة:

1 ـ إقليم الجبال، ويمتد من الجنوب الغربي (جبل الشيخ) إلى الشمال الشرقي (جبال الزبداني ووادي بردى وجبال لبنان الشرقية)، تتراوح ارتفاعاته ما بين حوالي 700 م إلى أعلى نقطة في المحافظة وفي سورية وهي قمة جبل الشيخ 2814 م. من قرى هذا الإقليم:

ـ على سفوح جبل الشيخ: برقش، رخلة، بيت سابر، ريمة، بيتيما، حينة، دربل، قلعة جندل، كفر حور، كفر قوق.

ـ في جبال الزبداني ووادي بردى: الزبداني، الروضة، سرغايا، عين حور، سوق وادي بردى، الديماس، بسيمة، عين الصاحب.

ـ وفي جبال لبنان الشرقية توجد مجموعة من المصاطب بين سلاسل جبال القلمون تضم مجموعة كبيرة من القرى مثل التل ومنين ومعلولا وحلبون وصيدنايا وجبعدين، ومواقع عمرستا وملكتا.. وفي أقصى الشمال يبرود ورأس المعرة والسحل.

2 ـ إقليم الهضاب الجنوبية الغربية ويضم مناطق حوضة دمشق بغوطتيها الشرقية والغربية ونهريها بردى والأعوج وبقايا بحيرتي العتيبة والهيجانة، ارتفاعه وسطياً حوالي 600 م.

أهم مواقع الغوطة الغربية داريا وصحنايا.. والغوطة الشرقية والمرج: المليحة وجسرين والهيجانة وحران العواميد وجديدة الخاص والبيطرية والغزلانية..

3 ـ إقليم الهضاب الجنوبية الشرقية: ويضم مناطق أطراف البادية السورية وصولاً إلى الحدود العراقية والأردنية، ومناطق الكتل البركانية والوعرات البازلتية، وارتفاعه وسطياً حوالي 700 م. وأهم المواقع فيه: الضمير.

تقسم محافظة ريف دمشق إدارياً إلى تسع مناطق:

منطقة المركز: تضم البلدات المحيطة بدمشق مثل المليحة، الكسوة، وعربين..

منطقة دوما: الجزء الشرقي من المحافظة، أهم بلداتها دوما، الضمير، حرستا، والنشابية..

منطقة التل: الجزء الشمالي، أهم بلداتها صيدنايا، حلبون، ومنين..

منطقة قطنا: الجزء الغربي، أهم بلداتها رخلة وبرقش، ريمة، عرنة، سعسع، وحينة..

منطقة الزبداني: الجزء الشمالي الغربي، أهم بلداتها الديماس، قرى وادي بردى، بلودان..

منطقة داريا: الجزء الجنوبي الغربي من المحافظة، أهم بلداتها داريا وصحنايا..

منطقة القطيفة: الجزء الشمالي الشرقي القريب من المحافظة، أهم بلداتها القطيفة، ومعلولا..

منطقة يبرود: الجزء الشمالي الشرقي المتوسط من المحافظة، أهم بلداتها يبرود، وعسال الورد.. وأطراف البادية السورية..

منطقة النبك: الجزء الشمالي الشرقي البعيد من المحافظة، أهم بلداتها النبك، دير عطية، وقارة..



الصورة 1 ـ خريطة ريف دمشق

ريف دمشق في العصور الكلاسيكية والبيزنطية

لا توجد صورة واضحة عن منطقة دمشق وريفها حتى الألف الأول قبل الميلاد.. باستثناء بعض المواقع المتفرقة التي قدمت القليل من المعلومات، وعشرات التلال الأثرية حول المدينة لم يتم التنقيب فيها.

في الألف الأول قبل الميلاد كانت سورية الداخلية موزعة بين مجموعة من الممالك الآرامية، وكانت مملكة دمشق من أهمها.. ثم بدأت منطقة دمشق تتنقل بين أيدي المحتلين، بدءاً بالآشوريين الذين احتلوها في القرن الثامن قبل الميلاد، ومن يد لأخرى لمدة حوالي ألف أربعمئة عام، حتى القرن السابع بعد الميلاد، حين أصبحت تابعة للدولة العربية الإسلامية.
غزاها الآشوريون وبسطوا نفوذهم عليها عام 732 ق م، وبقيت تابعة لهم حوالي مئة وعشرين عاماً..
ثم خضعت لنفوذ الإمبراطورية البابلية الجديدة عام 609 ق م، وبقيت تابعة لها حوالي سبعين عاماً..
ثم أتبعت للإمبراطورية الفارسية عام 539 ق م، وبقيت تابعة لها حوالي مئتي عام..
واحتلها الإسكندر المكدوني عام 333 ق م، وبقيت تحت سيطرة قادته حوالي مئتين وسبعين عاماً..
وخضعت للاحتلال الروماني عام 63 ق م، لمدة حوالي أربعمئة وستين عاماً..
ثم أصبحت تابعة للإمبراطورية البيزنطية عام 395 م، وبقيت لمدة حوالي مئتين وثلاثين عاماً، حتى عام 635 م حين أصبحت تابعة للدولة العربية الإسلامية.

الوضع الإداري والسياسي في المنطقة

في العصر الفارسي، كانت سورية ولاية فارسية عاصمتها دمشق.
وفي العصر الهلنستي، بقيت سورية السلوقية ولاية واحدة عاصمتها أنطاكية، وقسمت إلى ثماني مناطق، دمشق واحدة منها بالإضافة إلى (حمص، حماة، بعلبك، آفاميا، أنطاكية، السويدية، واللاذقية).
في هذه الفترة كان الأنباط إلى الجنوب من منطقة دمشق ضمن دولتهم المستقلة ذاتياً ووصل نفوذهم أحياناً إلى دمشق..
وفي القرن الثاني قبل الميلاد، ظهرت بعض الأسر المحلية التي نالت استقلالاً ذاتياً، مثل الإيتوريين في منطقة لبنان والقلمون وجبل الشيخ.. وفي فلسطين الهسمونيون الذين حاولوا الوصول إلى منطقة دمشق..

وفي بداية العصر الروماني بقيت سورية ولاية واحدة عاصمتها أنطاكية، وبقيت الأسر المستقلة ذاتياً على حالها.
وعندما استلم الحكم الروماني الإمبراطور سبتيموس سيفيروس عام 193 م، قسم سورية إلى ولايتين، ولاية شمالية وداخلية سميت سورية المجوفة عاصمتها أنطاكية، وولاية جنوبية وساحلية سميت سورية الفينيقية عاصمتها صور. الحدود بينهما الخط الأفقي المقابل لأرادوس.
وفي عهد الإمبراطور قسطنطين (311 ـ 337 م) قسمت الإمبراطورية الرومانية إلى أربع برايفكتورات (مناطق كبرى) منها الشرق عاصمتها القسطنطينية، ضمت أربع ذيقوسيات (أبرشيات) هي الشرق وآسيا والبونت وتراكيا، وضمت أبرشية الشرق 15 ولاية، منها:
قسمت سورية المجوفة الشمالية إلى ولايتين: سورية الأولى في الشمال وسورية الثانية في الجنوب، وإلى الشرق منهما ولاية سورية الثالثة (الفرات)، وإلى الشمال منها ولاية الرها.
كما قسمت سورية الفينيقية الجنوبية إلى فينيقية الأولى في الغرب وفينيقية الثانية في الشرق.
وفي عهد جوستنيان (527 ـ 565 م) كانت التقسيمات الإدارية كما يلي:
ضمت سورية الأولى (عاصمتها أنطاكية): مدن الشمال والساحل السوري.
وضمت سورية الثانية (عاصمتها آفاميا): مدن الوسط والساحل الوسطي.
وضمت سورية الثالثة (عاصمتها منبج): مدن الفرات.
وضمت فينيقية الأولى أو الساحلية (عاصمتها صور): مدن الساحل كطرطوس وأرواد وعكا وصيدا وبيروت وجبيل، ومن أشهر مدنها في الداخل قيسارية بانياس.
وضمت فينيقية الثانية أو اللبنانية أو الداخلية (عاصمتها دمشق): مدن القسم الجنوبي من سورية وأشهرها دمشق وبعلبك وتدمر وحمص حتى نهر الفرات.
وإلى الشرق من فينيقية الثانية ولاية ميزوبوتاميا (بين النهرين)، وإلى الجنوب من فينيقية الثانية في الشرق الولاية العربية (بصرى)، وفي الغرب ولاية فلسطين الثانية.
يشار إلى أنه ومنذ القرن الخامس تقريباً، اشتهر الغساسنة في منطقة البادية وجنوب سورية كحكام للمنطقة تابعين للنفوذ البيزنطي.. يواجهون في المنطقة الشرقية المناذرة التابعين للنفوذ الفارسي.

الوضع الاجتماعي والثقافي والديني والاقتصادي..

لم تتغير العادات والتقاليد والنشاطات والعبادات التي مارسها الآراميون في سورية خلال الألف الأول قبل الميلاد مع الاحتلالات المتكررة للمنطقة، إنما تأثرت قليلاً أو كثيراً.. إذ لم تلحظ تأثيرات كبيرة على المنطقة في عهود الاحتلال الأولى (الآشوريون ثم البابليون ثم الفرس)، لا في المجال الديني ولا الثقافي ولا الاجتماعي.. خاصة أن الثقافة الآرامية (بما فيها الدينية) كانت قوية ومؤثرة أكثر مما هي متأثرة، ولا توجد خلافات كبيرة أو جوهرية بين السكان والمحتلين بسبب القرب والاتصال الجغرافي بينهم، إضافة إلى أن تلك الاحتلالات كان يغلب عليها صفة التبعية الإدارية (بما تفرضه من جزية مقابلة) أكثر من كونها احتلالاً مباشراً

يرسل قواته وحكامه وناسه للسيطرة على المنطقة ومحاولة تغييرها اقتصادياً أو اجتماعياً أو دينياً.. وقد لا تكون كل الافتراضات السابقة دقيقة بما فيه الكفاية بسبب قلة المكتشفات الأثرية من تلك العصور في المنطقة.

مع قدوم الإسكندر إلى الشرق، لم يعتبر نفسه محتلاً يضيف أراض جديدة إلى بلاده الأصلية، وإنما اعتبر الأراضي المحتلة أجزاء من إمبراطورية عالمية جديدة يؤسسها ويحاول دمج ثقافاتها واقتصادها لتوحيد تلك الأجزاء.. وقد تابع قواده نشر هذه السياسة إلى حد ما، قبل أن تشغلهم مشاكل السياسة والحروب..

انتشرت الثقافة الهلنستية في المنطقة، التي يمكن القول عنها إنها مزيج بين ثقافة المنطقة العريقة، وثقافة الإغريق التي وإن لم تكن بنفس العراقة، إلا أنها قوية بما يكفي للتأثير.. ويبدو أن السكان أحبوا حضارة الإغريق وتفاعلوا معها.. والشيء نفسه يقال عن الحضارة الرومانية التي لا تختلف كثيراً عن الإغريقية، بل يمكن اعتبارها متممة لها.. ومع الوصول إلى العصر البيزنطي، لا يمكن ببساطة اعتبار المنطقة محتلة من قبل البيزنطيين بقدر ما يمكن اعتبارها جزءاً أساسياً من تلك الإمبراطورية مثل بقية الأجزاء وصلت إلى هذه المرحلة بعد الانقسام الذي حل بالإمبراطورية الرومانية.

لا توجد كتابات كافية عن وضع منطقة دمشق في تلك العصور، ولا يمكن بسهولة الحديث عن الأوضاع الاقتصادية (الزراعة والتجارة والصناعة) أو الدينية (العبادات وطقوس الدفن) أو الثقافية والاجتماعية وغيرها.. في منطقة دمشق انطلاقاً من المعطيات التي قدمتها المنطقة.. باستثناء بعض المعلومات القليلة التي تقدمها النصوص المكتشفة، أو الأخبار القليلة الواردة عن المنطقة في بعض كتابات تلك العصور، أو من خلال استنتاج بعض المعلومات من المواقع الأثرية التي تعود لتلك العصور سواء من حيث العمارة أو اللقى المكتشفة.. وأغلب ما يمكن قوله عن تفاصيل تلك الفترات، هو إسقاطات مأخوذة من الأوضاع التي كانت سائدة في الغرب ومعممة نسبياً على أماكن أخرى.. فمثلاً، لا نعرف كيف كانت الأوضاع الزراعية أو الصناعية في منطقتنا، ولكن نعرف الكثير عما كانت عليه في الغرب، وقد تكون مشابهة لما في المنطقة، ولكن ليست مماثلة تماماً.. ونفس الشيء يقال عن العبادات والطقوس المرافقة لها.. إذ أننا لا نعرف كيف كانت تقام تلك الطقوس في معابد المنطقة، ولكن نعرف الكثير عن تلك الطقوس في الغرب التي تشابه ما كان في الشرق ولكن لا تماثلها تماماً.. والشيء نفسه يقال عن طقوس الدفن..

لذلك، لن نقدم في هذا البحث إسقاطات نابعة من حالة عامة، وإنما سنتعرض إلى ما وجدناه في المنطقة، وما يمكن الاستنتاج منه..

من الناحية الدينية، انتشرت الديانات الإغريقية والرومانية، بشكلها الصافي، أو بشكلها الممتزج مع الديانات المحلية.. فنجد معابد مخصصة للإله زوس اليوناني في افري وعين قنية وعرنه، وللإله كرونوس الروماني في جبل النبي هابيل، والإلهة لوكوتية اليونانية في رخلة وعين البرج، كما نجد معابد لمزيج بين الآلهة الغربية والآلهة المحلية، مثل معبد جوبتر مالك اليبرودي في يبرود، ومعبد زوس العلي في الضمير.. وفي الوقت نفسه نجد معابد لآلهة محلية مثل معبد أتارغاتيس في كفر حور، ومعابد لآلهة مختلفة مثل معبد الإلهين زوس

اليوناني وآبيس المصري في برهليا.. وآبيس المصري دخل إلى عالم الآلهة اليونانية منذ احتلال الإسكندر لمصر.. وقد وحد آبيس لاحقاً مع اوزيريس بإله واحد هو سيرابيس انتشرت عبادته أيضاً في المنطقة وقد وجد تمثال له قرب الضمير.. كما يشار إلى العبادات أو الطقوس أو الأسرار الإيلوزيسية أو الباطنية التي اكتشف مؤخراً أنها كانت تمارس في مجمع المعابد في منين من خلال ترجمة أحد النصوص في الموقع.

أما عن طقوس العبادة كطريقة الصلوات والأضحيات والأعياد والتراتيل وغيرها.. فإنه لا يمكننا استنتاج أي شيء من بقايا المعابد الموجودة باستثناء بعض المعلومات القليلة من نصوص معبد الضمير ومعبد يبرود وبعض النصوص الأخرى لا مكان لذكرها هنا*.

أما فيما يتعلق بطقوس الدفن، فالشيء نفسه يقال، إذ لا يمكننا استنتاج الكثير حول تلك الطقوس، باستثناء بعض المعلومات التي يمكن استنتاجها مما بين أيدينا من نصوص ومدافن ومكتشفات ولقى..

ومع قدوم الديانة المسيحية وانتشارها، عاشت المنطقة على ضوء تعاليمها وثقافتها الجديدة التي غيرت الكثير من العادات والعلاقات والطقوس..

وهكذا نجد خلال حوالي سبعمائة عام، انتقال سكان المنطقة من العبادات المحلية (الآرامية)، إلى اليونانية ومزيجها مع المحلية، وإلى الرومانية ومزيجها مع المحلية، وإلى المسيحية مع كل اختلافاتها العقائدية وتأثراتها بالديانات السابقة.. وهذه تطورات سريعة جداً على مستوى حركة الشعوب..

من الناحية العمرانية، بقيت آثار بعض المواقع التي تدل على ضخامتها، ويمكن اعتبارها بمثابة المدن، وأثبتت آثارياً أنها كانت تحمل الاسم نفسه مثل برقش (برقوشا ثم مدينة جوستنيانوس)، رخلة (اسليسيا رخلينوروم)، عرنة (ارنا)، يبرود (يبرودا)، عين قنية (عين قنية)، حينة (اينا).. كما توجد مواقع ضخمة أخرى تغير اسمها مثل سوق وادي بردى (آبيلا)، ودير علي (لبابا)، ومواقع ضخمة أيضاً لم يتم التأكد حتى الآن من أسمائها القديمة مثل الضمير، ومنين..

إضافة لتلك المدن، توجد عشرات المواقع الأخرى الصغيرة مثل معظم قرى وادي بردى والزبداني والقلمون وجبل الشيخ التي كانت قرى صغيرة في العصور الكلاسيكية ضم بعضها معابد أو مدافن أو بعض المنشآت..

النماذج المعمارية المستخدمة في كل تلك المنشآت هي نفسها السائدة آنذاك مع بعض التحويرات البسيطة التي تظهر الفنون الشرقية، مما يعني سيادة ثقافة عمرانية عالمية في كل أرجاء مناطق العصور الكلاسيكية.. قد تكون ميزتها الأساسية هي عدم الاهتمام بالعمارة السكنية مما جعل أغلبها لا يصل إلينا، والتركيز على العمارة الدينية والجنائزية.

وتجدر الإشارة هنا إلى محاولات بعض الكتاب الربط بين بعض الأسماء الواردة في الكتب القديمة وبين بعض القرى الحالية.. أو اعتبار كل قرية تضم بعض الآثار أنها كانت مدينة مهمة في العصور السابقة.. تلك المحاولات لا يوجد ما يثبتها.. مثل المحاولات المتعلقة بصيدنايا ومعلولا والزبداني والنبك وقارة.. علماً أن هذا لا يعني أنها لم تكن مهمة آنذاك، وإنما البقايا الأثرية غير كافية.

من الناحية الاجتماعية، ما هو ثابت بين أيدينا تأثر سكان المنطقة بالثقافات الكلاسيكية (اليونانية، الرومانية، والبيزنطية)، ولكن إلى أي حد، هذا غير معروف.. فأسماء الأشخاص الواردة في نصوص المعابد والمدافن، آرامية ويونانية ولاتينية.. ومن المعروف أنه لا يصل شعب إلى هذه المرحلة إلا بعد أن يكون قد قطع شوطاً كبيراً بالتأثر الثقافي بالآخر.. أما عن العادات الاجتماعية والتقاليد وغيرها، فلا توجد معلومات كافية عنها.. خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار الاختلاف الكبير بين تلك العادات بين منطقة وأخرى أو قرية وأخرى، سواء في الماضي أو الحاضر، تبعاً لعوامل كثيرة منها الديني أو الاقتصادي أو الطبقي، ومدى الالتزام بما هو محلي أو قادم من الخارج.

من الناحية الاقتصادية، لا شك أن السكان في الريف مارسوا الزراعة بكل أنواعها، حسب التقنيات التي كانت سائدة في تلك العصور، ولكن لا معلومات دقيقة لدينا عن الملكيات والكميات والأنواع بدقة والعلاقات الزراعية بين الناس والعادات المرتبطة بها..

الشيء نفسه يقال عن الصناعات المحلية، التي كان أهمها النبيذ، الدبس، الخشبيات، ومواد البناء..

أما التجارة فمن المؤكد أن قوافلها عبرت ريف دمشق على الطرق الرئيسة بين المدن الكبرى، وتفاعلت مع الصناعات المحلية الشهيرة التي لا نعرف عنها الكثير.

* حول معابد العصر الروماني في ريف دمشق ومراجعها، يمكن العودة لـ:

عميري، ابراهيم، **معابد العصر الروماني في ريف دمشق**، *مهد الحضارات*، العدد 13 و14، 2011، ص 87 - 95

لمزيد من المعلومات حول سورية في العصور الكلاسيكية وأهم المراجع، يمكن مراجعة:

J. M. Dentzer et W. Orthmann (ed.), ***Archeologie et Histoire de la Syrie, II, la Syrie de l' époque achéménide à l' avènement de l' Islam***, Saarbrücken, 1989

- ديورانت، ول، ***قصة الحضارة*** (المجلد الرابع: ***حياة اليونان***، المجلدان الخامس والسادس: ***قيصر والمسيح***، المجلدان السابع والثامن: ***عصر الإيمان***)، هيئة الكتاب المصرية 2001
- عبد الكريم، مأمون، ***العصور الكلاسيكية في بلاد الشام***، جامعة دمشق 2009
- سارتر، موريس، ***سورية في العصور الكلاسيكية***، دمشق 2009

الدفن وطقوسه في العصور القديمة

شغل الموت عقل الإنسان منذ القدم، وكان أكثر ما يخافه على سطح الأرض.. لذلك حاول إيجاد تفسير له، أو إيجاد طريقة تجنبه الوقوع في هذا المجهول الذي لم يختبره أحد وروى تفاصيله..
ولما لم يستطع، أقنع نفسه بأن الموت ليس نهاية، وإنما لحظة انتقالية من مرحلة إلى أخرى.. أو أن الموت يتعلق بالجسد فقط بينما الروح تبقى حية بأشكال مختلفة.. وغيرها من الأفكار والمعتقدات.. وفي الحضارات القديمة التي تعود لعدة آلاف قبل الميلاد، كثيرة هي الأساطير والقصص القديمة التي تتحدث عن تلك المحاولات، أو الحلول الجزئية..
ويبدو أن نظرة الإنسان للموت لم تختلف كثيراً منذ أقدم العصور وحتى أحدثها، وطريقة تعامله مع جثة الميت من حيث طقوس وطرق الدفن وأنواع المدافن.. وإن اختلفت شكلياً، لكنها تشابهت من حيث المضمون.. و الشيء نفسه يقال عن فلسفة الإنسان حول الموت ومصير الروح..

يمكن تلخيص الطقوس المتعلقة بالموت بشكل عام بقليل من العبارات..
- معظم الناس يعتقدون بأن الروح ستغادر الجسد للحساب (بطريقة أو بأخرى) لتستقر في عالم الثواب أو العقاب (الذي تختلف نوعيته من منطقة وزمن إلى آخر).
- معظم الناس يعتقدون أنه لا بد من التعامل مع الجسد باحترام كبير حتى ترتاح روحه وتتابع رحلتها بسلام.. لذلك؛ تقام مجموعة من الطقوس تكرم جسد الميت كالغسيل والتعطير وإقامة الصلوات ومراسم الجنازة..
- معظم الناس يدفنون الميت في الأرض أو في تابوت يوضع ضمن التراب أو في قاعات بأشكال مختلفة.. مع استثناءات قليلة كالحرق، أو تجميع العظام كلها أو الجماجم لوحدها في أماكن خاصة..
- معظم الناس يدفنون مع الميت بعض المرفقات الجنائزية، تختلف من حضارة لأخرى ومن ديانة لأخرى.. تهدف بشكل عام لمساعدة الميت في رحلته الأخيرة، كالطعام والشراب والنقود والحلي والرموز الدينية..
- معظم الناس يقيمون طقوساً معينة عند القبر.. قد تكون ولائم طعام وشراب أو ذبح حيوانات أو صلوات.. وعادة تكرر هذه الطقوس كلياً أو جزئياً في مناسبات معينة..

وإذا أردنا التوسع في منطقتنا المدروسة، وحولها قليلاً.. يمكننا سرد أهم المراحل والطقوس خلال العصور.. ولا شك أن هناك الكثير من التشابه بين سكان المشرق منذ العصور الحجرية،

وقد تأكد ذلك من خلال المواقع الأثرية المكتشفة في سورية وفلسطين والأردن، وقد ازداد ذلك التشابه في العصور التاريخية وتوسعت رقعته الجغرافية نتيجة العلاقات المتبادلة بين حضارات المنطقة وشملت بلاد الرافدين ووادي النيل.. وقد شكلت منطقة دمشق وجنوب سورية الجسر الطبيعي الذي ساهم بعملية المزج والتعريف والتقريب بين ثقافات هاتين المنطقتين المتباعدتين*..

العصور الحجرية (قبل التاريخية)

في العصر الحجري القديم (مليون سنة ـ 12 ألف سنة ق م)، يعتقد أن إنسان النياندرتال هو أول من دفن موتاه قبل حوالي مئة ألف سنة، في قبور فردية وجماعية بسيطة محفورة في الأرض، ووضع فيها أحياناً بعض الأسلحة الصوانية والحلي الحجرية وأحياناً بعض الزهور.. مما جعل البعض يعتقد أنه آمن بحياة أخرى بعد الموت، أو بخلود الروح..

طفل النياندرتال المكتشف في كهف الديدرية في عفرين، دفن في حفرة مستلقياً على ظهره، يداه ممدودتان وساقاه مثنيتان، وتحت رأسه بلاطة حجرية ناعمة، وعلى صدره من جهة القلب أداة صوانية.

ظهر الإنسان العاقل قبل حوالي 40 ألف سنة، وتفتقر منطقة الشرق لمواقع هذه الفترة، إذ أن معظم نشاطاته المكتشفة كانت في أوربا، ودلت على ممارسته لنوع من الأعمال الفنية كالرسم والحفر تشير إلى تبلور عقائده الخاصة حول الموت وغيره..

في العصر الحجري الوسيط (12 ألف ـ 10 آلاف سنة ق م)، اكتشفت في المواقع الفلسطينية والأردنية قبور جماعية وفردية بسيطة دفنت فيها الجثث فوق بعضها وبشكل مثني في أغلب الأحيان ودون توجه خاص، ووضعت معها تماثيل بشرية وحيوانية مصنوعة من العظم أو الحجر، وفي بعض الأحيان تشاهد بعض الطقوس الإضافية مثل وضع حجر تحت الرأس، وتغطية المفاصل ببلاطات حجرية كبيرة، كما دفنت الجماجم لوحدها فقط في بعض القبور، أو في حفر خاصة داخل البيوت مما يشير إلى تقديس الأموات أو عبادة الأجداد كنوع من الإيمان بحياة أخرى..

في العصر الحجري الحديث (10 آلاف ـ 6 آلاف سنة) والعصر الحجري النحاسي (6 آلاف ـ 3200 ق م) نجد بعض المواقع في ريف دمشق:

في تل أسود، في السوية الأقدم (7900 ـ 7600 ق م) الطريقة المعروفة في الدفن هي الدفن الفردي وذلك من خلال الجثة الوحيدة المكتشفة والموضوعة بالشكل المألوف في حفرة عادية، ومغطاة بقطع عديدة من الطين الأحمر. وفي السوية العليا (7200 ـ 6500 سنة ق م) وجدت قبور فردية وضعت فيها الجثث مع بعض الأدوات الحجرية (نصلات مناجل وأسهم صوانية) وبعض الخرز.. كما عثر على جماجم مدفونة بشكل جماعي تحت أرضيات البيوت، مطلية بالطين أو الجص وملونة بالمغرة الحمراء والقار، والعيون منزلة بالصدف.

وفي تل الرماد (الألف السابع ـ الألف الخامس ق م)، انتشرت طقوس عبادة أو تقديس الجماجم، إذ وجدت مجموعة من الجماجم بشكل منفصل عن الأجساد، مدفونة في حفرة قريبة من المساكن، وهي مطلية بالجص وملونة بالأحمر، وضعت قواعد لها تماثيل من الطين بطول

25 سم.
وفي تل البحارية (الألف السادس ق م) وجدت مقبرة فيها هياكل عظمية مدفونة بوضعية القرفصاء أو الجنين، وضعت بجانب رؤوسها نصلات من الصوان، كما وجدت جماجم مفصولة عن الجسد، ورؤوس أو أجزاء من حيوانات مدفونة معها.. وفي الألف الخامس استمرت هذه العادات، أما في الألف الرابع فقد اكتشفت جرار فخارية استخدمت لدفن الأطفال فيها، وفي واحدة منها وجد رماد لعظام طفل..
وفي الوعرات البازلتية جنوب وغرب دمشق (زاكية، دورين، المقروصة) وأطراف البادية شرق دمشق (الهيجانة والقصرين) وجدت مدافن طرازها مزيج ما بين الميغاليتي (أو الدولمن) والتومولوس والرجمية..
المدافن الميغاليتية أو الدولمن تستخدم فيها حجارة ضخمة لبناء جوانب القبر، حجر لكل جانب وحجر للسقف.
وفي نوع التومولوس يبنى مدفن مؤلف من عدة قاعات ويطمر بكومة من الردميات والحجارة ليشكل هضبة كبيرة يقع المدفن داخلها.
وفي المدافن الرجمية، يبنى قبر بسيط، يطمر بنفس طريقة التومولوس.
تحاط تلك النماذج الثلاثة السابقة أحياناً بدائرة أو دوائر من الحجارة.. وأحياناً تلحق بها بعض المنشآت البسيطة، وتكون عادات الدفن عادية ضمن تلك القبور.
يشار إلى أن تلك النماذج استمرت حتى العصور اللاحقة وربما حتى العصر البيزنطي.

وهكذا يمكن القول أن أكثر ما ميز هذه العصور:
من حيث عادات وطقوس الدفن: إضافة إلى الدفن العادي بوضعية الجنين، أو الجثث المتراكمة فوق بعضها، نجد تحنيط الجماجم التي تعتبر أول عمليات التحنيط البدائية في التاريخ وتجسد الحضور المستمر للأموات في بيوت الأحياء، وعادة حرق الجثة التي يجب أن يتم التوقف عندها كعادة دارجة أم كحالة استثنائية.
ومن حيث أشكال القبور: إضافة إلى الأشكال العادية من القبور الفردية والجماعية المحفورة في الأرض وغالباً تحت البيوت، نجد الجرار الفخارية وخاصة للأطفال، ومدافن الدولمن والتومولوس والرجمية.

العصور التاريخية
في العصر البرونزي القديم (3200 ـ 2000 ق م) لم تكتشف مدافن في ريف دمشق حتى الآن.
في العصر البرونزي الوسيط (2000 ـ 1600 ق م) اكتشفت في يبرود في موقع خابية الرشيدة تسعة مدافن متجاورة تحت الأرض مبنية بالحجارة ومغطاة بالشطائح الحجرية، يضم كل مدفن عدة جثث لا تقل عن خمسة، وضعت معها قطع أسلحة وحلي برونزية وأوان فخارية..
وفي تل الصالحية في الغوطة، اكتشف قبر محفور بالتراب سمي قبر العاشقين لأنه يضم هيكلين عظميين لرجل وامرأة متعانقين، وإلى جانبهما الكثير من الأواني الفخارية.

وفي سكا اكتشف في سفح التل الأثري مدفن مبني تحت الأرض على شكل قاعة 4×5 م، مبينة باللبن وسقفها قبوة اسطوانية، لم يكن فيها الكثير من الهياكل أو اللقى بسبب النهب القديم.
وفي أكروبول التل اكتشف تحت أرضية البيوت السكنية قبر مبني باللبن أبعاده 200×80 سم، سقفه أيضاً قبوة اسطوانية، ضم هياكل عظمية لامرأتين بوضعية الجنين وبينهما هيكل طفل صغير، وأعناق النساء زينت بقلادات فضية، ومعهم مجموعة من الأواني الفخارية.
وفي تل الكروم في حينة، اكتشف حديثاً (2007) مدفنان يعودان للقرن 18 ق م، حفرا في الأرض على شكل حفرة بيضوية، الأول أبعاده (3.5×3 م) وجدت فيه عظام لحوالي خمسة عشرة جثة، والثاني (6.5×3 م) يضم حوالي عشرين جثة. وجدت في المدفنين كمية كبيرة من الأواني الفخارية المبعثرة بين العظام، ويبدو أن ذلك حدث نتيجة انهيار أسقف المدافن.
وتشير المعطيات إلى أن عملية الدفن فيهما استمرت لعشرات السنين، إذ كانت تتم إزاحة الهياكل القديمة والمرفقات الجنائزية لتوضع الجثث الجديدة.
أهم المرفقات الجنائزية أسلحة برونزية، حلي، خرز، وكمية كبيرة من الأواني الفخارية مختلفة الأشكال والأحجام.
في العصر البرونزي الحديث (1600 ـ 1200 ق م) وعصر الحديد (1200 ـ 333 ق م) تندر المكتشفات الأثرية وخاصة المدافن في ريف دمشق.. لذلك يمكن رسم صورة عن الطقوس الجنائزية لسكان هذه الفترة وخاصة الآراميين من خلال بعض الاستنتاجات المستمدة من بعض مدافن هذه الفترة في مواقع أخرى مثل تل عشترة شمال وادي اليرموك وقطنا (تل المشرفة) في حمص وجوزان (تل حلف) على نهر الخابور..
في جوزان (تل حلف) اكتشف عدد من المدافن تعود للقرنين العاشر والتاسع ق م تحت تراس (المعبد القصر)، تحت كومة كبيرة من اللبن، يعتقد أنها تعود لأناس مهمين أو أغنياء أو ملوك أو كهنة.. يتألف كل مدفن من حجرة دفن واحدة أو اثنتين، بنيت باللبن وسقفها على شكل قبوات اثنتان منها جملونية.
أحد المدافن أرضيته مبلطة بالحجارة وفوقها طبقة من المونة الكلسية، وضعت فوقها جرة فيها رماد الموتى، وبعض المرفقات الجنائزية، ومدخله مغلق بتمثال بازلتي لإمرأة بوضعية الجلوس.
في حجرة أخرى وجد تابوت من الطين، وفي حجرة ثالثة وجد هيكل عظمي على الأرضية وسط كمية كبيرة من المرفقات الجنائزية الثمينة.. وبقية المدافن وجدت في حجراتها بعض الجثث والمرفقات الجنائزية..
في قطنا (تل المشرفة) عثر على مدفن يتألف من مدخل منحدر يؤدي إلى ممر يربط بين أربع حجرات دفن، جدرانها مغطاة بالمونة الكلسية، وأسقفها جملونية.. كان المدفن فارغاً من العظام والمرفقات وكأنه لم يستخدم أبداً أو كان يتم تنظيفه بشكل متلاحق..
في تل عشترة، عثر ضمن سور المدينة على ثلاثة قبور بنيت من الحجارة المنحوتة والمقصبة بشكل بيضوي، طول القبر بين مترين وثلاثة أمتار وعرضه حوالي مترين ونصف، وعمقه حوالي مترين، مغطى ببلاطات حجرية.

وجد في القبر الثاني المؤرخ بين (900 ـ 700 ق م) هيكل عظمي لفتاة في الثالثة من عمرها، سجيت على جانبها الأيسر ووجهها باتجاه الجنوب، ووضع تحت رأسها حجر صغير، وتلبس في عنقها طوقاً من الخرز الزجاجي والحجري فيه تميمة على شكل رأس إنسان. وتحت الهيكل السابق على أرضية القبر المرصوفة بالحجارة عثر على عدة هياكل عظمية تعود للعصر البرونزي الوسيط.. مما يعني أن القبر بني في ذلك العصر وأعيد استخدامه في العصر الآرامي.

وفي القبر الثالث وجد هيكل عظمي مسجى على جانبه الأيسر بوضعية القرفصاء ووجهه باتجاه الغرب، ووضع كف يده اليمنى على اليسرى، واستندت أصابع القدم اليسرى على اليمنى، وبجانبه درع سلحفاة ليس من المعروف هل وضع كمرفق جنائزي أم وصل إلى مكانه بالصدفة..

وتحت الهيكل السابق، هيكل عظمي أقدم يعود لفترة البرونز الوسيط أيضاً بقربه قرن أيل.

تحيط بالقبور جدران على شكل تصوينة، كما وجدت مصطبة بين الجدران قد يكون لها علاقة بطقوس الدفن أو الزيارة.

يشار إلى أن المواقع السورية لم تعط الكثير من المعلومات عن هذه العصور، إلا أن الوحدة الحضارية للمنطقة تسمح بالمقارنة مع أهم الطقوس الجنائزية في بلاد الرافدين:

ـ البكاء والحزن على الميت.

ـ مسح الجثة بالزيت وربما لفها بكفن.

ـ تقديم القرابين أو الولائم الجنائزية عند القبر، حيث تذبح الخراف وتقدم الأطعمة والفواكه والنبيذ من أجل روح الميت، ويدفن قسم منها مع الميت والباقي يوزع على الناس..

ـ دفن مرفقات جنائزية مع الميت كالأواني الفخارية والحلي والأسلحة، وربما أشياء خاصة أخرى لتقديمها هدايا للآلهة لنيل رضاهم..

ـ ترتيل الترانيم الدينية أثناء الدفن، والأدعية للآلهة.. والرقى لحماية القبر من اللصوص.

ـ سكب الماء لإيصاله لروح الميت في العالم السفلي.

ـ التأكيد على أن يبقى ذكر الميت بشكل حسن في عالم الأحياء.

ـ وأخيراً يقام عند مدافن الملوك أو الأشخاص المهمين جداً نصب عليه نص أو رسوم، كما تصنع تماثيل لهم.

تقام تلك الطقوس بعد الوفاة مباشرة (أو بعد عدة أيام)، ومن ثم في مواعيد معينة تمتد لسنوات كثيرة خاصة فيما يتعلق بتقديم الطعام والشراب للأرواح الجائعة والعطشى في العالم السفلي وإلا فإنها ستعاني الجوع والضياع وربما تظهر غاضبة في عالم الأحياء وتؤذيهم..

كانت تتم تلك الطقوس أحياناً بشكل عائلي وسري ويكون القبر عندئذ ضمن البيت.. كما عرفت بعض حالات الحرق للجثث عند الآراميين وربما كان ذلك نتيجة تأثرهم بجيرانهم الحثيين الذين اتبعوا هذه العادة مع موتاهم.

تكون تلك الطقوس كاملة وفخمة وطويلة للملوك والطبقة الحاكمة والناس الأغنياء والمهمين.. وغير كاملة وقصيرة وبسيطة للناس الفقراء الذين تخلو قبورهم حتى من

المرفقات الجنائزية..

وأخيراً يمكن تلخيص عادات الدفن والطقوس الجنائزية خلال العصور التاريخية بالنقاط الأساسية التالية:

- عدم وجود تقليد واحد في كل المنطقة، فقد اتبع الدفن الإفرادي أو الثنائي أو الجماعي..
- لم تكن هناك قاعدة واحدة لاتجاه المدافن، أو لوضع الجثة في القبر من حيث الاتجاه أو الوضعية.
- في حال استخدام المدفن لأكثر من مرة، تزاح العظام والمرفقات الجنائزية جانباً لتوضع الجثث الجديدة، أو توضع الجثث فوق بعضها تفصل بينها طبقة من التراب.
- أهم المرفقات الجنائزية: الأواني الفخارية (جرار، صحون، كاسات..)، الأواني الزجاجية (كاسات، أباريق..)، أدوات وحلي معدنية (نبال، خناجر، أساور، مشابك..)، حلي متنوعة (أساور، أطواق، خواتم، حلق..) مصنوعة من مواد مختلفة (حجارة كريمة أو عادية، معادن، خشب وعظم..)، عظام بعض الحيوانات وهي بقايا الولائم الجنائزية.

* هذه المقدمة خلاصة لكتاب شعائر الدفن وطقوسه القديمة في منطقة دمشق والجنوب السوري، محمود حمود، دمشق، 2010

الدفن وطقوسه في العصور الكلاسيكية

تأثر اليونان بحضارة جزيرة كريت في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، حيث اهتم الناس هناك بموتاهم إلى درجة قريبة من العبادة، وكانوا يدفنونهم في توابيت فخارية أو في جرار كبيرة، ويضعون معهم بعض الطعام والأدوات تساعدهم في حياتهم الأخرى التي سيعيشونها بسلام وسعادة دون أن يعودوا إلى الأرض.. وكانوا يزورون قبور موتاهم في مواسم معينة ويدعون الآلهة كي تمنح الميت السلام والسعادة..

كما تأثروا بالحضارة الميسينية المعاصرة، حيث آمن الناس هناك بوجود حياة أخرى بعد الموت، لذلك وضعوا الكثير من الأدوات والمرفقات الجنائزية مع موتاهم..

وتأثروا بالآخيين أسلافهم الذين كانوا يحرقون أمواتهم، كما فعل الدوريون أيضاً، وعلى الأغلب لأنهم شعوب غير مستقرين، ولا يستطيعون العناية بالقبور كما يجب..

وبعد الغزو الدوري، وخلال القرنين الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد، امتزجت الحضارات الخمسة مع بعضها (الكريتية، الميسينية، الآخية، الدورية، الشرقية) لتبدأ حياة جديدة من عصر دويلات المدن..

وحتى هذه الفترة لم يكن هناك مفهوم واضح أو محدد لعلاقة الروح بالجسد، أو لمصير الروح بعد الموت.. كان اليونان يدفنون موتاهم أو يحرقونهم، ويؤمنون أنهم سيعيشون في عالم الموت الذي هو إما غير محدد، أو في العالم السفلي عند إله الموت، ودون أن يكون هناك مفهوم واضح أو محدد أيضاً لمبدأ الثواب والعقاب..

ومع عصر الفلاسفة الكبار منذ القرن السابع ق م، بدأت تنتشر أفكار جديدة حول الموت والحساب.. كان أهمها آراء المدرسة الأورفية التي اهتمت بالترانيم والطقوس التي ترشد المتوفى كيف يتعامل مع آلهة العالم السفلي أثناء الحساب.. فأرواح الناس جميعاً ستنزل إلى الجحيم حيث تحاسب، وسيبعث الناس في المستقبل ليعيشوا حياة العقاب أو الثواب..

وآراء المدرسة الفيثاغورية، التي اعتبرت الروح تحل بالجسد نتيجة ارتكابه خطأ في العالم العلوي، وعندما يموت الجسد تخرج منه، وتدخل في سلسلة من التناسخات من جسد إلى آخر حتى تتطهر وتعود إلى العالم العلوي المقدس..

ويقول الفيلسوف هرقليطس (ولد عام 530 ق م): في كل لحظة من اللحظات يموت جزء منا، ويعيش الكل، وفي كل لحظة يموت واحد منا وتبقى الحياة. الموت بداية كما هو نهاية، والمولد نهاية كما هو بداية.

وفي كل الأحوال، احترم اليونان الموتى كثيراً، واهتموا بطقوس الدفن كثيراً، فهم يريدون تجنيب الروح الآلام، كي لا تبقى تائهة قلقة في أرجاء العالم، تنتقم من أهل المتوفى،

فتظهر عليهم بأشكال وأطياف مختلفة، وتدمر مزروعاتهم، وتميت حيواناتهم، وتقلق راحتهم بالأمراض والكوارث.. فاتبعوا عادات معينة في الدفن استمرت، مع بعض التأثيرات اللاحقة، حتى سيادة العقائد المسيحية.
وفي الجانب الآخر عند الرومان، كانت حضارة التوسكانيين السابقة لهم، تؤمن بوجود الحساب، فالأتقياء تذهب أرواحهم إلى الأعالي ليصاحبوا الآلهة بولائمها وترفها وسعادتها، والأشرار تنزل أرواحهم إلى الجحيم ليعيشوا هناك.. وكانوا يحرقون الموتى، أو يدفنونهم في الأرض أو ضمن توابيت آجرية أو حجرية، أو في مدافن تشبه البيوت مجهزة بالوسائل اللازمة وكأن المتوفى يعيش فيها، وترسم فيها صور الموتى يشاركون بنشاطات الحياة اليومية من رقص وشراب وغناء..
أما الرومان أنفسهم، فلم تختلف نظرتهم للموت عن أسلافهم اليونان.. إلا أنهم تميزوا بحبهم لكبار السن ورعايتهم والاهتمام بهم، حتى إذا توفوا، أقاموا لهم مراسم الدفن على أكمل وجه، واستمر اهتمامهم بالمدفن وزيارته حتى أصبح مثل المزار أو المعبد وأصبحت هناك عبادات محلية للأسلاف تتمحور حول أداء فروض معينة للموتى..

أما رحلة الموت للمتوفى، فتبدأ بنزوله إلى باطن الأرض، ليصل إلى شارون Charon صاحب المركب الذي سيمرره عبر نهر الموت ستايكس Styx، فيعطيه أجرته، ويقطع النهر.. ويتابع قليلاً ليقابل الكلب المتوحش ذا الرؤوس الثلاثة سيربيروس Cerberus الذي يتأكد من أن القادم ميتاً وليس حياً، وبعد اجتيازه يصل إلى إله الموت هاديس (اليوناني) أو بلوتو (الروماني) ليقاضيه على أعماله.

الطقوس الجنائزية

تنفيذ الطقوس الجنائزية ودفن الميت بالشكل الصحيح، أمر مهم جداً لدى اليونان والرومان كما هو بالنسبة لمعظم شعوب الأرض عبر التاريخ.. فإن لم تنفذ تلك الطقوس على أصولها ستلحق اللعنة أهل الميت لأن روحه لن تهدأ.. وتحدثنا الروايات عن إعدام جنود منتصرين في معارك عادوا دون أن يستطيعوا إحضار جثث رفاقهم معهم.. كما تحدثنا قصص حرب طروادة كيف أن الآلهة توسطت مع آخيل ليعيد جثمان هيكتور ليقوم أهله بدفنه (حرقه) حسب الأصول..

لا يمكن ببساطة الإحاطة بكل الطقوس الجنائزية، خاصة أنها تختلف قليلاً بين فترة وأخرى وبين مكان وآخر.. لكن يمكن تلخيص الخطوط العامة الرئيسة لتلك الطقوس في الحضارتين اليونانية والرومانية..

عندما يموت الشخص، يأتي شخص مختص بترتيب شؤون الموت.. أو يقوم أهل الميت بغسل جثته بالماء وأحياناً بالخمر أيضاً، ويدهنونها بالعطور، ثم يلبسونها أحسن الثياب أو الثياب الرسمية إذا كان الميت ذا منصب في الدولة، ويضعون قطعة نقدية في فم الميت ليدفعها

إلى شارون أجرة نقله بمركبه عبر نهر الموت، ويزينونها بالأزهار، ويضعونها في سرير جنائزي في الصالة الرئيسة في البيت أو صالة الاستقبال، وبحيث تكون الأقدام باتجاه الباب.. ويضعون أمام الباب من الخارج شجرة صنوبر لمنع العدوى بالموت، لأنهم كانوا يعتقدون أن الموت مرض معد..
وطبعاً قبل البدء بتلك التصرفات، ينشر خبر الوفاة ليجتمع الأهل والأقرباء والأصدقاء.. عن طريق ندب نساء البيت بأناشيد وعبارات مرتجلة مختلطة بالبكاء والصراخ..
يحزن أهل المتوفى، ويعبرون عن حزنهم بارتداء الثياب السوداء، وبعضهم يقص شعره أو جزءاً منه ليقدمه للميت مع التقدمات التي تعطى له لاحقاً.
تبقى الجثة في البيت ثلاثة أيام يمارس أهلها الحزن والبكاء والندب، ويزورها الناس للوداع الأخير، وأحياناً تقام وليمة على شرف الميت (أي بحضوره) قبل الرحيل.

ثم توضع الجثة في تابوت خشبي أو فخاري، ويبدأ موكب الجنازة الذي يطوف بشوارع المدينة قبل أن يصل إلى الساحة العامة..
تتقدم الجنازة النادبات المأجورات، اللواتي ينحن ويندبن ويقتلعن شعورهن تعبيراً عن الحزن، وكن أحياناً يغالين بهذه المظاهر حتى صدر قانون يمنع ذلك..
بعد النادبات، يكون هناك اثنا عشر زماراً (وكانوا سابقاً أكثر من ذلك، إلا أن القوانين حددت عددهم أيضاً)، ثم جماعة الراقصين الذين يمثل أحدهم دور الميت..
ثم مجموعة من الممثلين يلبسون أقنعة الموت، أو أقنعة تمثل وجوه أسلاف الميت الذين ماتوا، خاصة من كان منهم ذو شأن أو منصب.. وذلك لتذكير أهل الميت بأنه ليس ابنهم فقط من مات وإنما مات من هو أهم منه..
ثم تأتي الجثة في التابوت الذي يغطى بالأقمشة المطرزة الملونة بالأرجواني والذهبي، وحوله المرفقات الجنائزية التي ستوضع في القبر، نقود وحلي وأوان وأسلحة...
خلف التابوت، يسير أبناء المتوفى وهم في ثياب الحزن، ومعهم الأقرباء والأصدقاء والعبيد.. وبقية الناس..
وعندما تصل الجنازة إلى الساحة العامة، تتوقف، وتبدأ خطب الرثاء.. ثم يتوجهون إلى المدفن الذي يكون غالباً خارج المدينة..
فإذا كان الميت سيحرق، تجهز له كومة من الحطب ترتب على شكل مذبح، وتوضع جثته عليها، ويلتف الناس حولها بخشوع، وأحياناً تعزف الموسيقى الحزينة.. ثم يقوم احد أقرباء المتوفى بإشعال النار.. ويبدأ احتراق الجثة بينما يلقي عليها الناس بعض التقدمات..
بعد احتراق الجثة تماماً، تطفأ النار، ويجمع الرماد، ويوضع في آنية مقدسة توضع في المدفن.
أما إذا كان الميت سيدفن، فتوضع جثته في القبر، وتوضع معها المرفقات الجنائزية، ويودع الوداع الأخير، بينما يكون الكهنة يرتلون عليه بعض التراتيل..
ثم يرش الخمر على القبر.. وأحياناً تذبح بعض الحيوانات.. وتوضع على القبر الزهور وأغصان السرو..

وبعد الانتهاء من المراسم يقوم الكهنة برش الماء على الناس..
ويعود أهل المتوفى إلى البيت ليبقوا فترة الحداد لمدة تسعة أيام..
وفي اليوم التاسع يعود أهل المتوفى إلى القبر لتقديم الطعام، ووضع الزهور.. ويستمروا بهذه العادة في المناسبات.
يعتقد الناس أن روح المتوفى تحضر طقوس الجنازة والحداد..

استمرت هذه الطقوس، مع بعض الزيادة أو النقصان أو التعديل، حوالي الألف عام على الأقل في منطقة الشرق بتأثير من الاحتلال اليوناني وبعده الروماني ومن ثم البيزنطي، من القرن الرابع قبل الميلاد وحتى القرن السادس الميلادي تقريباً في بدايات الفترة البيزنطية قبل أن تتبلور الديانة المسيحية، إذ أن تلك الطقوس لم تتخلص من العادات السابقة، بل أصبحت مزيجاً من التقاليد القديمة والعقائد المسيحية التي تؤمن بعودة الروح إلى الجسد ليحيا الإنسان ثانية في العالم الأعلى.. وهكذا يتم الاعتناء بدفن الجسد، وتعتبر فترة البقاء في القبر فترة مؤقتة يشارك الميت فيها بتلقي الصلوات والدعوات والتقدمات، حتى يحين موعد الدينونة الأخيرة.
الطقوس التي تغيرت في العصر البيزنطي هي أن الميت غالباً ما يكفن، والجنازة لم تعد تضم الممثلين وغيرهم، بل الأهل والأصدقاء والأقرباء.. وتتجه إلى الكنيسة ليصلى عليها هناك وتتلى عليها مقطوعات من العهدين القديم والجديد مع التركيز على معجزة الخلاص للميت، وأحياناً يتم تناول طعام جنائزي من القمح والجوز، ومن ثم تتجه الجنازة إلى المدفن الذي إما أن يكون قبراً عادياً أو من طراز المعازب (خشخاشة)، فيوضع فيه الميت وهو في التابوت (الذي يكون من الخشب عادة، ومغلقاً).. وأهم العادات التي بقيت من العصور السابقة، هي عادة حرق الجثة أحياناً، والمرفقات الجنائزية التي بقيت توضع مع الميت، مثل القطعة النقدية ولكن ليس لنفس السبب، وأواني الطيب والخمر لمساعدته في فترة بقائه في القبر ليشارك في حفلات التأبين التي ستقام له في المستقبل، وبعض الحلي، والأجراس، والصلبان لإبعاد الشياطين التي تأتي لتتقاسم نفس الميت ومن أجل حماية القبر وتقديسه..
وطبعاً تغيرت هذه العادات قليلاً لدى المسيحيين في العصر الحالي، فالميت لم يعد يغسل، ولم يعد يكفن، أو يترك في البيت ثلاثة أيام بل يدفن في اليوم التالي ما عدا بعض أصحاب المراتب الدينية، كما أن المرفقات الجنائزية اختفت، وأصبح يكتفى ببعض الأشياء الرمزية مثل المسبحة أو الصليب..

المدافن

كان الاعتناء بالمدافن وفخامتها ورعايتها لاحقاً.. من العادات المهمة جداً.. فنجد الإمبراطور الروماني أغسطس يبني مدفنه على شكل تومولوس بقطر 87 م، وفوقه تلة من التراب المغروس بالأشجار بارتفاع 44 م. كما أن الإمبراطور هادريان بنى مدفنه على شكل مبنى صرحي دائري بارتفاع 50 م وقطر 64 م فوق قاعدة مربعة عرضها 84 م.. وبقية الناس تنوعت مدافنهم حسب غناهم ودرجاتهم ما بين أبسط الأنواع وأفخمها..

أما المدافن التي أنشأت لهذه الغاية، فقد اختلفت أشكالها..
من القبور العادية المحفورة في الأرض الترابية أو الصخرية،
إلى المدافن الجماعية التي تحفر في الأرض أو تبنى بالحجارة تحت الأرض، على شكل قاعات وغرف وممرات مختلفة تضم القبور المحفورة في أرضياتها أو جدرانها على شكل معازب.
أو تبنى فوق الأرض على شكل أبراج مربعة أو دائرية أو أبنية هرمية أو أبنية تشبه المعابد أو غيرها من الأشكال تكون المعازب في جدرانها أو توضع التوابيت في صالاتها..
وأحياناً يكون المدفن مؤلفاً من بعض القبور العادية في الأرض وفوقه أو قربه تنشأ بعض النصب للدلالة عليه..
أو توضع القبور في مصطبة مستطيلة أو دائرية ويمكن إضافة النصب فوقها أو قربها..
أو يحفر القبر في الأرض وتبنى فوقه غرفة بواجهة فخمة تشبه واجهات الأبنية..
ولا ننسى أخيراً المدافن الرجمية والتومولوس والدولمن التي بدأ تاريخها قبل عدة آلاف من السنين واستمر استخدامها في العصور الكلاسيكية وتتألف من قبر مبني بطرق مختلفة فوق الأرض ومطمور بكومة من الحجارة دائرية الشكل..
والدياميس التي انتشرت في العصر البيزنطي وهي سراديب طويلة تحت الأرض، تحفر في جدرانها كوى توضع فيها الجثث..
وتوضع الجثث في القبر مباشرة أو في تابوت حجري أو فخاري أو رخامي أو خشبي أو رصاصي.

سورية والعمارة الجنائزية في العصور الكلاسيكية

تعتبر العمارة الجنائزية في سورية في العصور الكلاسيكية غنية ومتنوعة إلى حد ما.. إذ لا تكاد تخلو محافظة من بعضها.. إضافة إلى بعض المواقع الغنية جداً بها.
ويمكن القول إن سورية تضم معظم (إن لم يكن كل) أشكال المدافن التي عرفت في العصور الكلاسيكية، طبعاً ليس بالضرورة بفخامة وعظمة الأنواع التي خصصت للأباطرة والقواد الكبار.. وإذا حاولنا أن نعدد أهم المواقع التي اكتشفت فيها المدافن وأشكالها.. لاضطررنا لتعداد المئات منها، ولكن سنذكر الأهم على الإطلاق حسب كثرته..
ـ القبور العادية المحفورة في الأرض منتشرة في معظم المدن والمناطق وحتى على مستوى القرى، إذ يوجد منها الآلاف..
ـ والنواويس المحفورة في الأرض الصخرية، منتشرة أيضاً في معظم المناطق، خاصة في جبال المنطقة الساحلية، ومنطقة دمشق وريفها (القلمون والزبداني وجبل الشيخ).
ـ والنواويس المبنية تحت الأرض يوجد منها الكثير في المنطقة الجنوبية (السويداء ودرعا) إضافة إلى المنطقة الشمالية..
ـ أما الدياميس فقد اكتشف نموذج منها في حمص..
ـ والتوابيت الحجرية والرخامية منتشرة في معظم المدن السورية وعلى الأخص دمشق وريفها، واللاذقية وحمص..
ـ والمدافن على شكل أبنية يوجد منها في ريف دمشق والمنطقة الجنوبية والمنطقة الشمالية..
ـ وتتميز تدمر بانتشار ثلاثة أنواع مهمة من المدافن هي المدافن البرجية (التي وجدت أيضاً في دورا أوربوس وحلبية) والمدافن الأرضية المحفورة تحت الأرض، والمدافن البيتية..

تميزت محافظة ريف دمشق عن غيرها من المحافظات بأنها تضم معظم أشكال المدافن، التي إن عرفت ودرست كلها، أعطت فكرة واضحة وكافية عن العمارة الجنائزية في العصور الكلاسيكية.. إذ نجد في ريف دمشق عدة أنواع من القبور الفردية المحفورة والمبنية تحت الأرض، والنواويس المحفورة والمبنية تحت الأرض وفي سفوح الجبال، والمدافن ذات الواجهات الفخمة، والمدافن الأبنية.. كما نجد عدة مواقع يمثل كل منها مقبرة المدينة، وعدة أشكال من التوابيت الحجرية.. إضافة إلى أنواع المدافن التي عرفت منذ الألف الرابع قبل الميلاد واستمر استخدامها في العصور الكلاسيكية مثل مدافن الدولمن والمدافن الرجمية ومدافن التومولوس (أو الحلقية).. ولا ننسى عشرات الشواهد والنصوص الكتابية التي قدمت معلومات كثيرة عن الطقوس الجنائزية.

لا توجد دراسات كثيرة عن هذا النوع من العمارة في سورية أو عن إحدى مدنها أو مناطقها باستثناء بعض الكتب التي تحدثت عن منطقة حوران، وتدمر.. إضافة إلى مجموعة مقالات متنوعة في بعض الدوريات بمراجعتها يمكن تشكيل فكرة جيدة جداً عن أنواع المدافن والطقوس الجنائزية في العصور الكلاسيكية في سورية.
فيما يلي نذكر أهم تلك المراجع:

في الحوليات الأثرية السورية:

• **مقالات عن التوابيت الحجرية، وأنواعها، وزخارفها، وأماكن تصنيعها واستيرادها، وأسعارها..**

- الصفدي، هشام، وكريشيان، آغوب، **دراسة أولية لتابوت اللاذقية وعمليات استكشافه**، *الحوليات*، العدد 7 عام 1957، ص 73 ـ 94
- شحادة، كامل، **تابوت الرستن (دراسة أولية)**، *الحوليات*، العدد 32 عام 1982، ص 59 ـ 88
- المقدسي، ميشيل، **تقرير عن سبعة مدافن من قرية المليحة من بداية العهد الروماني**، *الحوليات*، العدد 36 و37 عام 1986/1987، ص 67 ـ 72
- شحادة، جودت، **التوابيت الرومانية في المتحف الوطني بدمشق**، *الحوليات*، العدد 38 و39 عام 1988/1989، ص 281 ـ 300

• **مقالات عن المقابر الكبيرة التي تضم عدة أنواع من المدافن واللقى المتنوعة فيها**

- عبد الحق، سليم عادل، **الأشياء الأثرية الثمينة المكتشفة في مقبرة من العهد الروماني بالقرب من نوى (حوران)**، *الحوليات*، العدد 4 و5 عام 1954/1955، ص 5 ـ 19
- البني، عدنان، وصليبي، نسيب، **دراسة أولية عن حفريات مقبرة أم حوران وآثارها**، *الحوليات*، العدد 6 عام 1956، ص 8 ـ 24
- أسعد، خالد، **مذكرة حول المقبرة البيزنطية المكتشفة في حديقة متحف تدمر**، *الحوليات*، العدد 18 عام 1968، ص 129 ـ 132
- أسعد، خالد، **حول المقبرة البيزنطية في حديقة متحف تدمر**، *الحوليات*، العدد 19 عام 1969، ص 55 ـ 60

• **مقالات عن المدافن المحفورة تحت سطح الأرض**

- طوير، قاسم، **تنقيبات في باب السريجة**، *الحوليات*، العدد 20 عام 1970، ص 61 ـ 66

• **مقالات عن المدافن المبنية تحت سطح الأرض**

- أبو عساف، علي، **مدفن روماني بيزنطي في قرية الطيبة**، *الحوليات*، العدد 24 عام 1974، ص 189 ـ 214

ـ صليبي، نسيب، **مقابر عازار جنوبي طرطوس**، *الحوليات*، العدد 26 عام 1976، ص 127 ـ 166
ـ الشعراني، وسيم، **مقبرة صلخد**، *الحوليات*، العدد 47 و48 عام 2005/2004، ص 149 ـ 154

• **مقالات عن الدياميس البيزنطية**
ـ البني، عدنان، وصليبي، نسيب، **الدياميس البيزنطية في حمص**، *الحوليات*، العدد 11 و12 عام 1962/1961، ص 23 ـ 34

• **مقالات عن مدافن تدمر وأنواعها (بيتية، أرضية..) والولائم الجنائزية..**
ـ سيريغ، هنري، **طعام الموتى والوليمة الجنائزية في تدمر**، *الحوليات*، العدد 1 جزء 1 عام 1951، ص 127 ـ 130
ـ عبد الحق، سليم عادل، **مدفن أسرة طاعي التدمرية**، *الحوليات*، العدد 2 عام 1952، ص 7 ـ 50
ـ البني، عدنان، وصليبي، نسيب، **مدفن شلم اللات في تدمر**، *الحوليات*، العدد 7 عام 1957، ص 25 ـ 50
ـ أسعد، خالد، والطه، عبيد، **مدفن زبدعته التدمري**، *الحوليات*، العدد 15 ج 1 عام 1965، ص 29 ـ 46
ـ أسعد، خالد، والطه، عبيد، **مدفن بولحا التدمري**، *الحوليات*، العدد 18 عام 1968، ص 83 ـ 108
ـ أسعد، خالد، **المدفن 36 في تدمر**، *الحوليات*، العدد 33، ج 2 عام 1983، ص 123 ـ 140

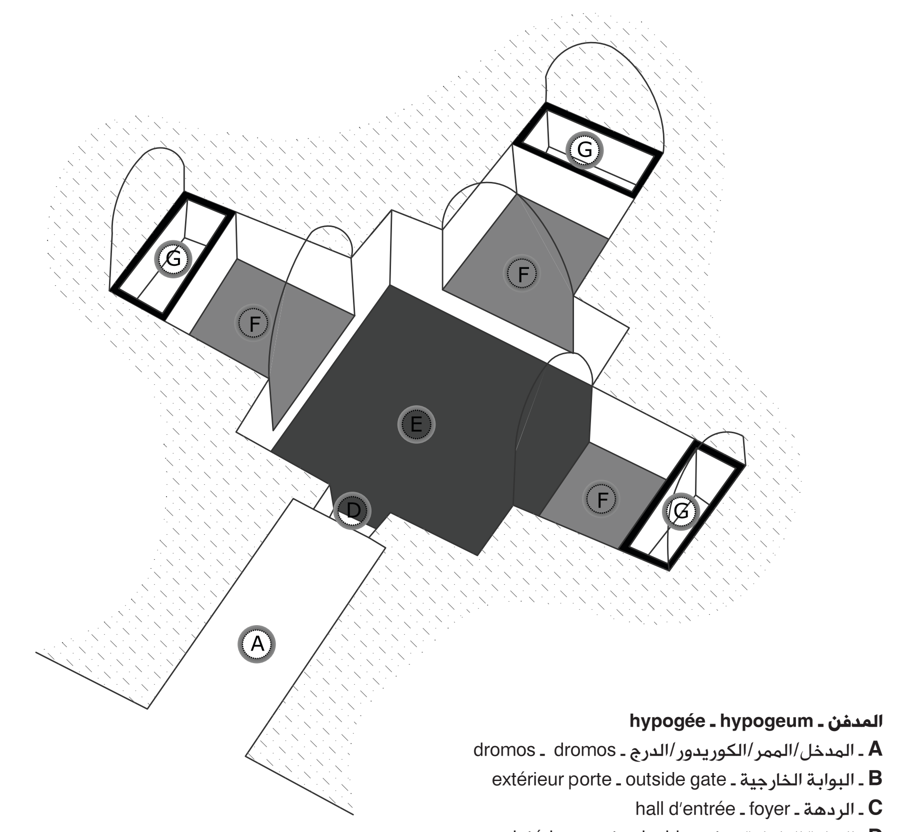
• **ومن المراجع الأجنبية الهامة:**
- Amy, R.; Seyrig, H., **Recherches dans la nécropole de Palmyre**, *Syria*, XVII, 1936, pp. 229 - 266
- Cumont, F., ***Recherches sur le symbolisme funéraire des Romains***, Paris, 1942
- Will, E., **La tour funéraire de Palmyre**, *Syria*, XXVI, 1949, pp. 85- 116
- Will, E., **La tour funéraire de la Syrie et les monuments apparentés**, *Syria*, XXVI, 1949, pp. 258 - 312
- Seyrig, H., **Les antiquités de la nécropole d'Emèse**, *Syria*, XXIX, 1952, pp. 204-250 et Syria, XXX, 1953, pp. 12 - 24
- Gawlikowski, M., **Trois tombeaux palmyréniens**, *Studia Palmyrenski*, 3, 1969, p. 59
- Gawlikowski, M., ***Monuments funéraire de Palmyre***, Varsovie, 1970
- Toynbee, J. M. C., ***Death and Burial in the Roman World***, Londres, 1971

- Gawlikowski, M., **La notion de tombeau en Syrie romain**, *Berytus*, 21, 1972, pp. 5 -15
- Koch, G.; Sichterman, H., ***Römishe Sarkophagen***, Munich, 1982
- Sartre, A., **Tombeaux antiques de Syrie du Sud**, *Syria*, LX, 1983, pp. 83- 99
- Sartre, A., **Architecure funéraire de la Syrie**, *Archéologie et Histoire de la Syrie*, II, J.-M. Dentzer et W. Orthmann éd., Saurbruck, 1989, pp. 423 - 446
- Sartre-Fauriat, A., ***Des Tombeaux et des Morts***, Beyrouth **2001**

الباب الثاني

المجمعات الجنائزية

في ريف دمشق



المدفن ـ hypogeum ـ hypogée

A ـ المدخل/الممر/الكوريدور/الدرج ـ dromos ـ dromos

B ـ البوابة الخارجية ـ outside gate ـ extérieur porte

C ـ الردهة ـ foyer ـ hall d’entrée

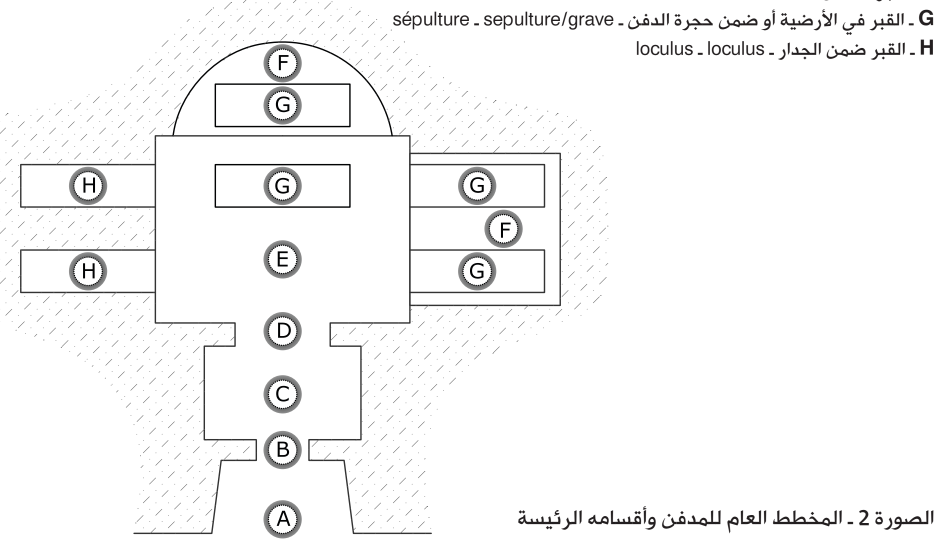
D ـ البوابة الداخلية ـ inside gate ـ intérieur porte

E ـ الفناء ـ lobby ـ salle

F ـ حجرة الدفن ـ arcosolium ـ arcosolium

G ـ القبر في الأرضية أو ضمن حجرة الدفن ـ sepulture/grave ـ sépulture

H ـ القبر ضمن الجدار ـ loculus ـ loculus



الصورة 2 ـ المخطط العام للمدفن وأقسامه الرئيسة

برقش

تقع غرب مدينة دمشق حوالي 35 كم (شمال غرب قطنا حوالي 15 كم)، على ارتفاع حوالي 1580 م على السفوح الشرقية لجبل حرمون.
يضم الموقع مجمعاً دينياً ضخماً من العصرين الروماني والبيزنطي.. أهم المنشآت القائمة فيه حتى الآن مبنى البازيليك الضخم الذي بني في العصر البيزنطي فوق بقايا معبد من العصر الروماني (الصورة 3)، وإلى الشمال منه قليلاً معبد مزود بحنية من العصر الروماني (القرن الثاني الميلادي)، إضافة إلى المباني السابقة تغطي الموقع بقايا عشرات الأبنية المتهدمة التي يمكن تمييز بعضها، كما يوجد تجمع لبيوت متهدمة يشير إلى قرية صغيرة، وهناك ثلاث مجموعات على الأقل من المدافن المحفورة في الصخر، ومعصرة ضخمة..
كان اسم البلدة في العصر الروماني بركوسة وتحول في العصر البيزنطي إلى مركز أسقفية باسم مدينة جوستنيانوس.

▲ الموقع محفوظ جيداً، وهو مسجل ضمن المواقع الأثرية في سورية بالقرار رقم 165 تاريخ 1976/6/27.



الصورة 3 ـ البازيليك

المنشآت والعناصر الجنائزية

1 ـ مجموعة مدافن محفورة في الصخر في الجزء الجنوبي من الموقع:

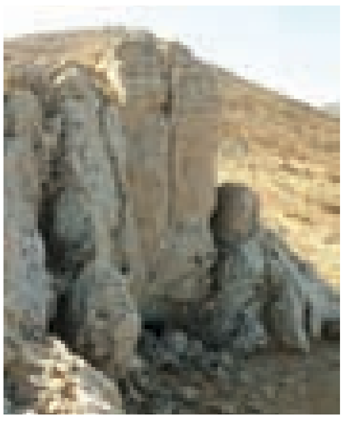
A ـ المدفن الشمالي: يتألف من قبرين فرديين محفورين في الصخر، وفوقهما جرف صخري يتجه للغرب نقشت عليه ثلاثة نفوش* وإطار صغير (الصورة 4).

* النفش: كلمة من أصول محلية قديمة بمعنى نفس الشخص أو روحه، تطلق في الكتابات المتعلقة بالعصور الكلاسيكية على النحت النافر قليلاً الذي يتخذ شكل شاهدة القبر قرب مدخل المدفن.

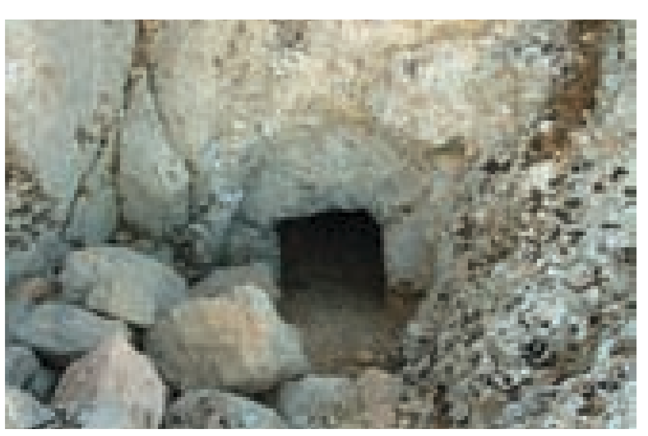


الصورة 4 ـ المدفن الشمالي

B ـ المدفن الوسطي: يتألف من ناووس صغير لا يمكن الدخول إليه حالياً بسبب الردميات، وفوقه على الجرف الصخري المتجه للشمال نقش نفش واحد (الصورتان 5 و6).



الصورة 5 ـ المدفن الوسطي

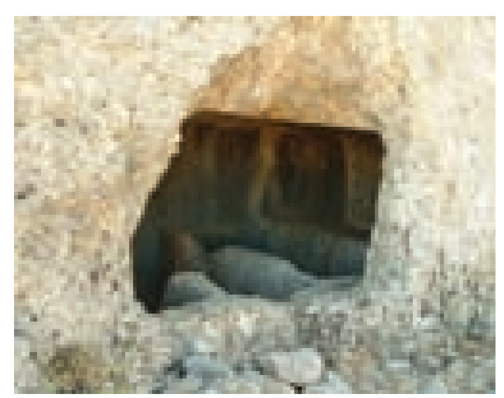


الصورة 6 ـ باب المدفن الوسطي

C ـ **المدفن الجنوبي:** يتألف من ناووس صغير أيضاً في داخله ثلاثة قبور ومصطبة، وبجانبه على الجرف الصخري نقش نفش واحد (الصورتان 7 و8).



الصورة 7 ـ المدفن الجنوبي



الصورة 8 ـ المدفن الجنوبي من الداخل

2 ـ مجموعة مدافن محفورة ضمن كتلة صخرية كبيرة (الصورة 9).

الصورة 9 ـ مدافن الكتلة الصخرية

3 ـ في الوادي المجاور للموقع يمكن رؤية صخرة كبيرة حفر فيها قبران، لكل منهما غطاء مزود بإفريز داخلي ليغلق القبر بشكل جيد، أحد الأغطية كامل، والآخر مكسور إلى قطعتين، وهما ملقيان بجانب الكتلة الصخرية (الصورة 10).



الصورة 10 ـ قبرا الوادي

4 ـ قبران محفوران على سطح كتلة صخرية كبيرة، وعلى واجهة الصخرة حفر تمثال لشخص واقف (الصورتان 11 و12).

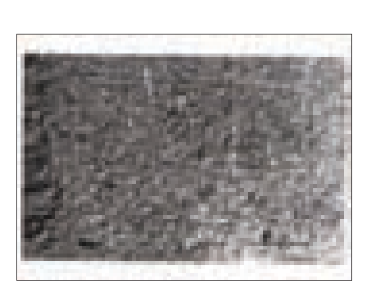


الصورة 12 ـ تمثال على واجهة الصخرة



الصورة 11 ـ قبور على سطح صخرة

5 ـ يذكر موتيرد نصاً مكتشفاً عام 1938، في مقبرة على الهضبة المقابلة للمعابد، ربما في المقبرة الجنوبية، لم يتم العثور عليه حالياً. يتألف النص من ستة أسطر محفورة على شاهدة على الصخر (153×50 سم) ضمن خرتوش (24×37 سم)، ترجمته: (في عام 497، في اليوم 20 من شهر أودينايوس /جنيوري 186 م/ مابوجيس ابنة ديودوتوس، الجيدة، المتوفاة). (الصورة 13)



الصورة 13 ـ صورة النص عن موتيرد



Aliquot, 2008, no. 36 ;Mouterde, 1951 /1952, p. 36, no. 6

بسيمة

تقع بسيمة شمال غرب دمشق حوالي 20 كم على ارتفاع حوالي 850 م عن سطح البحر، وهي كغيرها من قرى وادي بردى، يفترض أنها سكنت عبر كل العصور، إلا أن السكن المتواصل لم يترك آثاراً كثيرة من العصور السابقة.. ففي البلدة نفسها لم يبق واضحاً إلا قناة المياه المحفورة في الصخر (الصورة 14).. أما خارج البلدة فتوجد بعض المواقع.

من خلال طبوغرافية المنطقة، يمكن الاستنتاج أنها المكان الأفضل للوصول مباشرة من وادي بردى إلى منطقة حلبون ومنين ومنها إلى بقية القلمون (بدلاً من المتابعة عبر الوادي جنوباً إلى دمشق ومن ثم العودة شمالاً إلى منين).. لذلك، يمكن الافتراض أن الطريق القديم كان ينطلق من بسيمة باتجاه الشرق إلى عين الصاحب، عبر منطقة تعتبر سهلة تضاريسياً تخترقها عدة أودية صغيرة تبدأ من الشمال وتنتهي في الجنوب لتصل إلى هذا الطريق الذي تطل عليه عدة مجموعات من المدافن والمقالع وخزانات المياه.

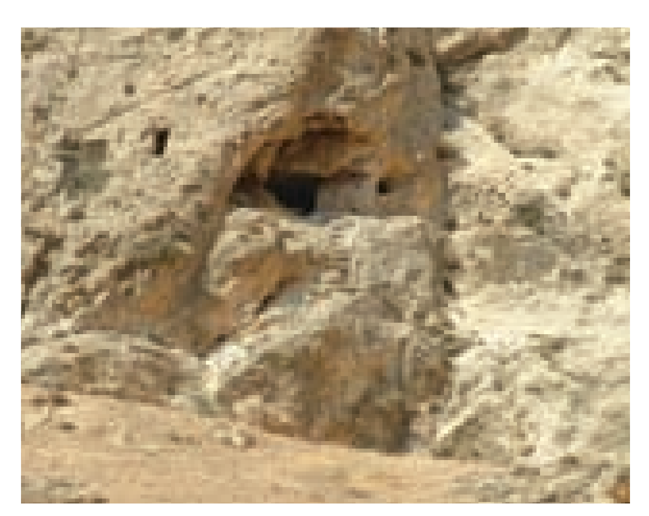


الصورة 14 ـ القناة المحفورة بالصخر

المنشآت والعناصر الجنائزية

1 ـ مجموعة المدافن الغربية

في نهاية الوادي المسمى شعاب شملة في الشمال ووادي المردات في الجنوب الذي يصل إلى الطريق شرق بسيمة حوالي 1.5 كم، يوجد مقلع حجري كبير، و مجموعة من المدافن المحفورة في الصخور الكلسية، بعضها قبور فردية وبعضها مدافن جماعية (نواويس) بأشكال مختلفة، وهي محفوظة بشكل جيد (الصورة 15).



الصورة 15 ـ المدافن الغربية

2 ـ مجموعة المدافن الشرقية

تقع إلى الشرق من الأولى حوالي 600 م، (في منتصف المسافة بين نهاية شعاب شملة ووادي المردات ونهاية الوادي المسمى في جزئه الشمالي وادي مين وفي جزئه الجنوبي سيل الميسة) توجد مجموعة أخرى من المدافن المحفورة في الصخور الكلسية بعضها فردي، وبعضها على شكل نواويس، أهمها مدفن كبير فيه 17 قبراً، زينت واجهته فوق الباب بنحت نافر قد يكون تمثالاً نصفياً، وبعمودين لكل منهما قاعدة وتاج بسيطان، يحملان فوقهما جبهة مثلثية، وفوق تاج العمود الغربي توجد بقايا نحت يبدو وكأنه لأسد جالس رأسه باتجاه المدخل (الصور من 16 حتى 22).

الصورة 16 ـ مخطط الموقع العام للمدافن الشرقية



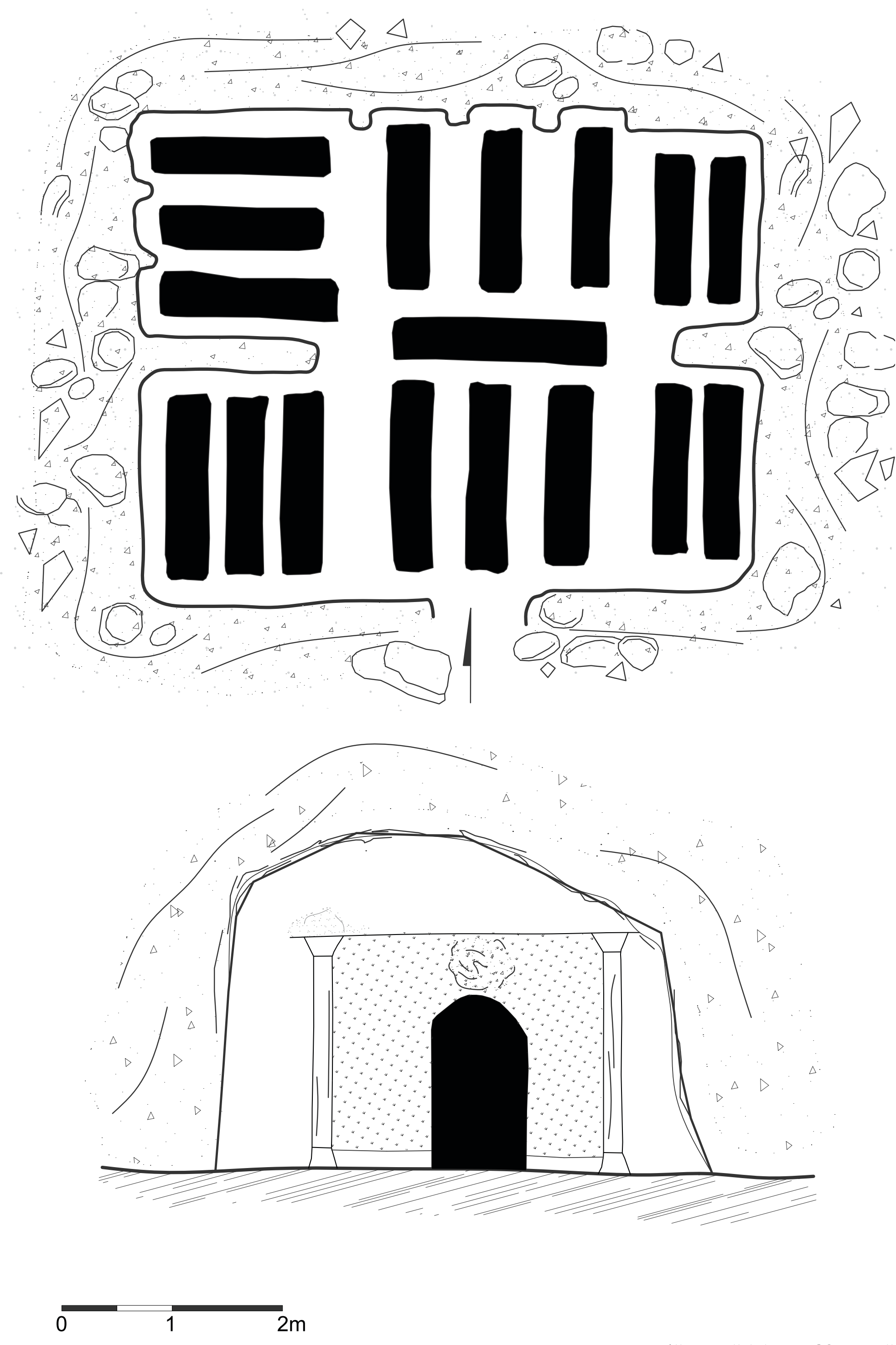
▲ يشار إلى أن الموقعين محفوظان بشكل جيد.



الصورة 17 ـ مجموعة المدافن الشرقية

الصورة 18 ـ واجهة المدفن الكبير





الصورة 19 ـ مخطط المدفن الكبير



الصورة 20 ـ بقايا التمثال على الواجهة



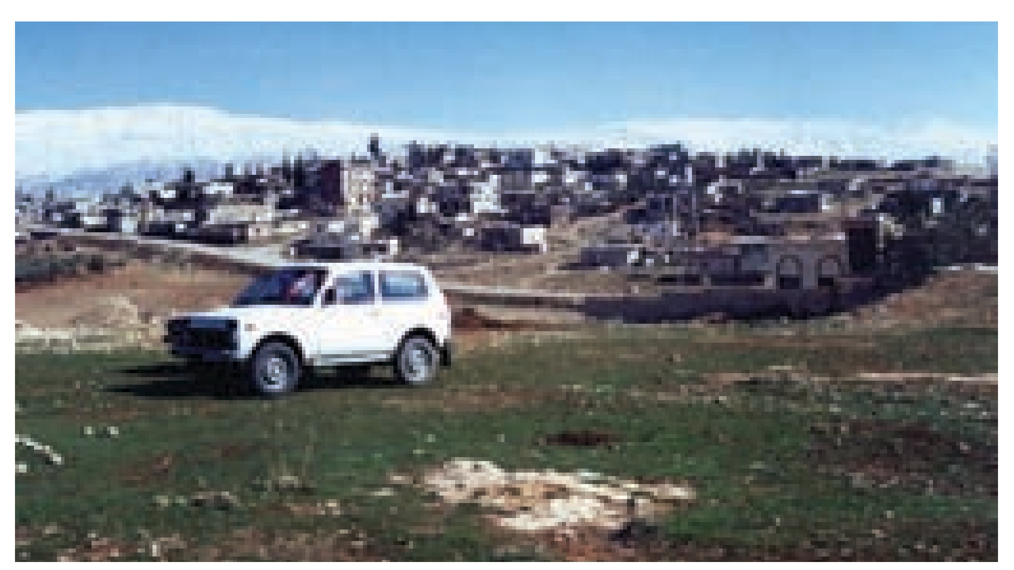
الصورة 21 ـ تاج العمود الأيسر على الواجهة

الصورة 22 ـ المدفن من الداخل.



بيت سابر

تقع جنوب غرب دمشق حوالي 35 كم على الضفة اليسرى (الشرقية) لوادي بحيران، شمال سعسع حوالي 6 كم، على ارتفاع حوالي 950 م عن سطح البحر (الصورة 23).
سكنت القرية منذ العصر الروماني، وتوجد فيها بعض المدافن التي تعود للعصرين الروماني والبيزنطي، ما زال قسم كبير منها محفوراً في الصخر في الهضبة المقابلة للقرية من جهة الشرق، بعضها فردي وبعضها جماعي، تم التنقيب في بعضها منذ حوالي 10 سنوات، دون أن تتوفر تقارير علمية عن أعمال التنقيب، كما نقلت منها بعض الحجارة إلى حديقة متحف القنيطرة.

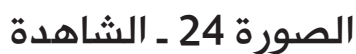

الصورة 23 ـ قرية بيت سابر من هضبة المدافن

المنشآت والعناصر الجنائزية

1 ـ شاهدة قبر من الحجر البازلتي طولها 132 سم وعرضها مختلف 40 سم للجزء الذي يبقى فوق الأرض و23 سم للجزء الذي يطمر في الأرض لتثبيتها، وسماكتها 15 ـ 20 سم، نقش عليها في الأعلى زخرفة على شكل خطين مزدوجين مائلين يحصران مع الخط السفلي الذي فيه كتابة مثلثاً على كل من جانبيه غصن وداخله دائرة مزدوجة أيضاً، وكتب تحتها باليونانية ثلاثة أسطر قصيرة (تشجع يا ماكسيموس، المتوفي بعمر 60 عاماً). (الصورة 24)

Aliquot, 2008, no. 53

▲ الشاهدة معروضة حالياً في حديقة متحف القنيطرة.



الصورة 24 ـ الشاهدة



2 ـ باب حجري بازلتي لمدفن مع العضائد الجانبية له والعتبة والساكف، أبعاد الباب 85 × 75 سم وسماكته حوالي 20 سم. ونافذة من الحجر البازلتي لمدفن أبعادها 55 × 45 سم (الصورة 25).

▲ الباب والنافذة معروضان حالياً في حديقة متحف القنيطرة.

الصورة 25 ـ الباب والنافذة



3 ـ المدافن المنقبة 2007

أثناء تنفيذ بعض الأعمال الإنشائية في الهضبة المذكورة، ظهرت عدة مدافن على عمق حوالي نصف متر عن السطح، وبسبب التشابه الكبير بينها تم التنقيب في أربعة منها فقط، وثقت ومن ثم أعيد طمرها لمتابعة الأعمال الإنشائية:

A ـ المدفن الأول

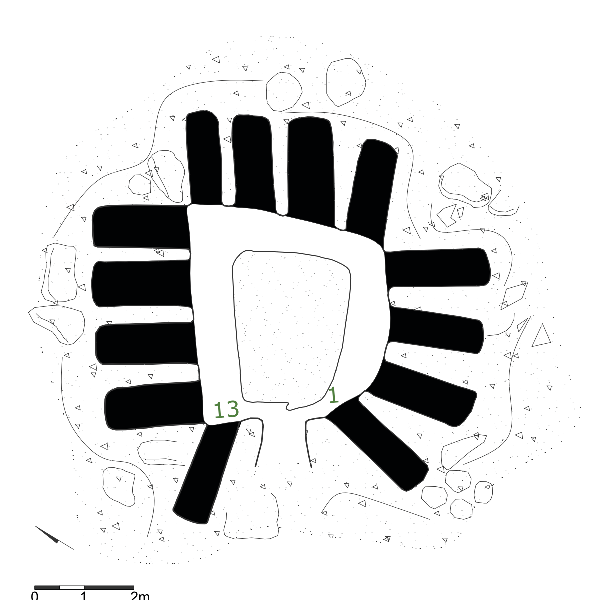
يتجه مدخله نحو الغرب، ارتفاع المدخل حوالي 90 سم وعرضه 80 سم وهو يتوسط قبرين. يؤدي المدخل إلى فناء شبه مستطيل الشكل أبعاده من الشمال للجنوب حوالي 300 سم ومن الغرب للشرق حوالي 350 سم، يتألف من جزئين، الأول مرتفع له نفس منسوب أرضية المعازب، والثاني ينخفض منسوبه عن الجزء الأول بحدود 50 سم. ارتفاع سقف المدفن عن أرضية الفناء 190 سم.

يضم المدفن ثلاثة عشر قبراً، أربعة في كل من الجهتين الشمالية والشرقية، وثلاثة في الجهة الجنوبية وقبرين والمدخل في الجهة الغربية.. وهي على شكل معازب محفورة في الجدران على مستوى أرضية الفناء أو فوقها بقليل بطول حوالي (180 ـ 220 سم) وعرض (60 ـ 85 سم) وارتفاع حوالي 80 سم.

تم إغلاق واجهة بعض القبور ببناء جدار من الحجارة الصغيرة والمتوسطة الحجم، كما تشاهد بقايا مدماك من تلك الجدران على واجهات بعض القبور، وبقية القبور مفتوحة.

عثر على بعض النثرات العظمية القليلة في القبور المغلقة، أما القبور الأخرى فلم يعثر فيها على شيء.

يبدو أن قبور هذا المدفن أعدت مسبقاً للعائلة صاحبة المدفن، ولم يتم استخدام إلا عدد محدود من القبور وبقيت الأخرى دون استخدام، وقد يؤيد هذا الاعتقاد غياب اللقى المكتشفة التي اقتصرت على سراج فخاري وجرتين فخاريتين صغيرتين واحدة عليها آثار حريق عثر عليهما في ردميات أرضية المدفن (الصورة 26).



الصورة 26 ـ مخطط المدفن الأول

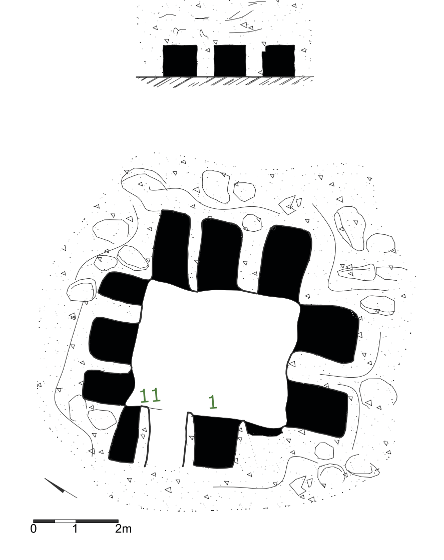
B ـ المدفن الثاني

يقع جنوب الأول حوالي 16 م، يتجه مدخله نحو الغرب، عرضه 70 سم وارتفاعه حوالي 95 سم، يتم النزول عبره إلى فناء المدفن المربع الشكل تقريباً أبعاده 260 × 250 سم، أرضيته تنخفض قليلاً عن منسوب أرضية المعازب. ارتفاع المدفن حوالي 160 سم. رصفت أرضية الفناء بالحجارة المتوسطة والصغيرة الحجم والبعض منها موجود بشكل طبيعي.

يضم المدفن أحد عشر قبراً، ثلاثة في الشرق، وثلاثة في الشمال، واثنان عريضان في الجنوب، وثلاثة ومدخل في الغرب. أزيل قسم من الجزء الغربي من المدفن أثناء تجريف الموقع.

أبعاد القبور مماثلة لقبور المدفن الأول، مع بعض الاختلاف الذي قد يكون جزء منه ناتجاً عن انهيار بعض الجدران الفاصلة بينها بسبب الرطوبة، كما تم إغلاق مدخل بعض القبور بشكل كامل بواسطة جدران من الحجارة الغشيمة متوسطة الحجم، في حين اقتصر الأمر على بناء بعض المداميك في المعازب الأخرى.

أغلب القبور كانت خالية من الهياكل العظمية إلا القليل منها الذي احتوى على بعض نثرات العظام البسيطة. أما اللقى فهي قليلة، حيث عثر في أرضية الفناء على بعض القطع النقدية وبعض قطع الزجاج والحديد والفخار وعدد من الأساور البرونزية والزجاجية وحلية وحيدة صغيرة الحجم من الذهب. أما داخل القبور فلم يعثر على أي لقى باستثناء سراج فخاري داخل القبر رقم (9) عليه بعض الزخارف والرسوم من بينها صورة جرادة (الصورة 27).



الصورة 27 ـ مخطط المدفن الثاني

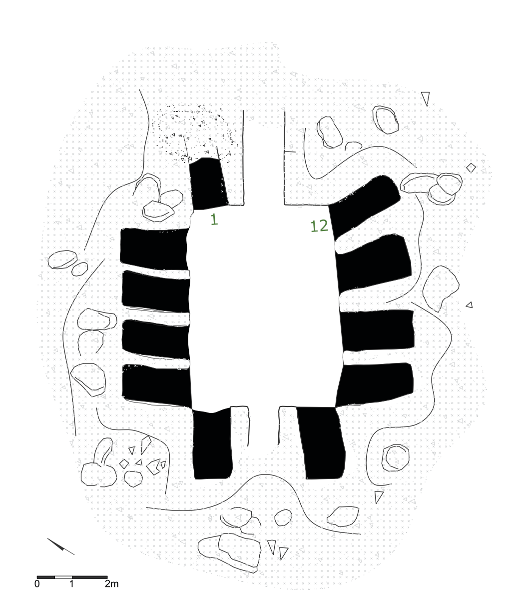
C ـ المدفن الثالث

يقع جنوب الثاني حوالي 18 م، وهو أكبر المدافن الأربعة، يتم الوصول إليه عبر ممر بسيط منحدر يؤدي للبوابة الخارجية التي نحتت بشكل جميل وهي تتجه نحو الغرب عرضها حوالي المتر وارتفاعها حوالي 115 سم.

الفناء كبير رصفت أرضيته بالحجارة طوله من الغرب للشرق 517 سم وعرضه من الشمال للجنوب 325 سم وارتفاعه 120 سم. حوله أحد عشر قبراً، أربعة في الجنوب، وأربعة في الشمال، وقبر واحد في الغرب على يمين المدخل الرئيسي للمدفن، واثنان في الشرق يتوسطهما مدخل آخر وهو ثانوي أقل أهمية من المدخل الأساسي.

أبعاد القبور مشابهة لقبور المدفنين السابقين.

تميز هذا المدفن بوجود كمية كبيرة من الردميات في وسط الفناء، ولم يعثر على أي لقى أو كسر فخارية داخل القبور أو حتى في الفناء، وهذا يؤكد تعرض المدفن للنهب منذ فترة بعيدة (الصورة 28).



الصورة 28 ـ مخطط المدفن الثالث

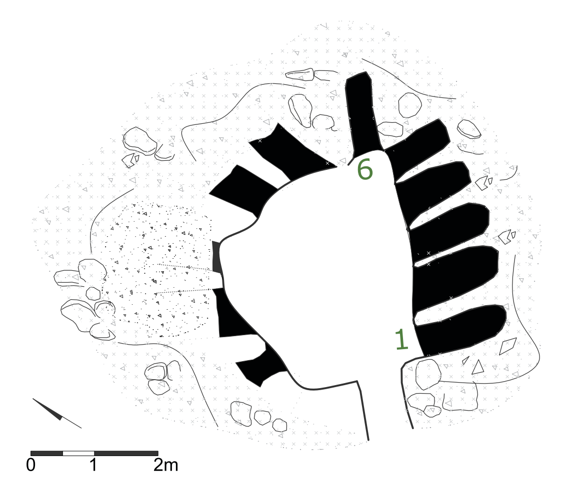
D ـ المدفن الرابع

يقع جنوب غرب المدفن الثالث حوالي 9 م، تعرض المدفن في جزئه الغربي للتجريف مما أدى لإزالة عدد من القبور.

المدخل في الجنوب عرضه حوالي 85 سم وارتفاعه حوالي 90 سم، البهو غير منتظم طوله من الشمال للجنوب حوالي 380 سم ومن الشرق للغرب حوالي 325 سم، وارتفاعه حوالي المتر، حوله 12 قبراً موزعة على كل الجهات. والقبور مشابهة في أبعادها لقبور المدافن السابقة ومن الواضح أنها تعرضت للعبث والنهب أيضاً منذ فترة بعيدة (الصورة 29).

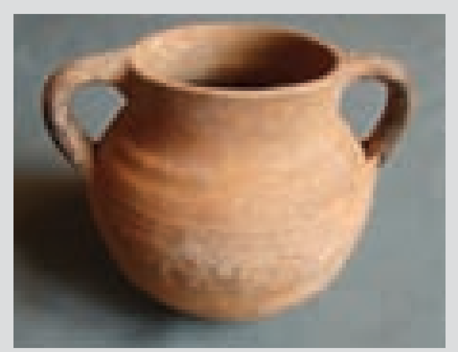
صور المدافن (من الصورة 30 حتى الصورة 32)

صور اللقى (من الصورة 33 حتى الصورة 37)



الصورة 29 ـ مخطط المدفن الرابع

تمت أعمال التنقيب بإشراف محمود حمود.

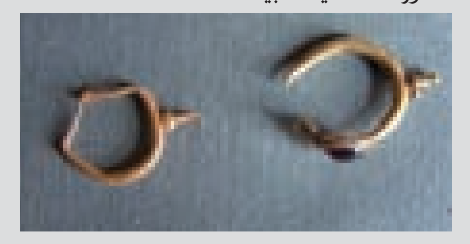

الصورة 33 ـ جرة فخارية

الصورة 34 ـ جرة فخارية



الصورة 35 ـ سراج فخاري

الصورة 36 ـ فلكة مغزل


الصورة 37 ـ حلية ذهبية



الصورة 30 ـ مدخل المدفن الثالث


الصورة 31 ـ المعازب المفتوحة

الصورة 32 ـ المعازب المغلقة جزئياً

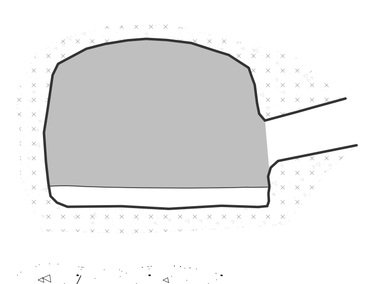

التل

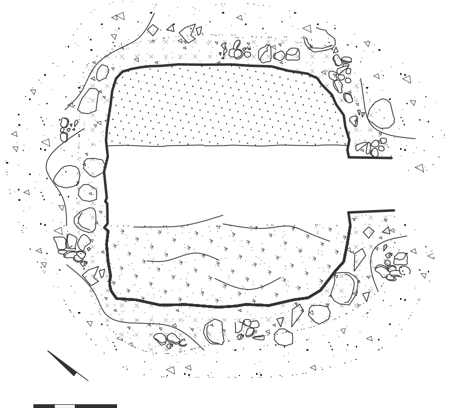
تقع شمال دمشق حوالي 12 كم على ارتفاع حوالي 1000 م عن سطح البحر. لم يبق فيها ما يشير إلى ازدهارها في العصور الكلاسيكية، ويبدو أن منين المجاورة هي التي كانت مزدهرة، وربما كانت التل قرية صغيرة تابعة لها.. إذ لم تكتشف فيها إلا بعض المدافن التي تعود لهذه الفترة، إضافة إلى روايات الناس عن عثور بعض السكان على مدافن مختلفة في الحي الغربي (الشميس) والمنطقة الممتدة باتجاه المكاسر، وفي حرنة المجاورة.

مدفن 2007

تم اكتشافه في حي الشميس أثناء تنفيذ حفريات التأسيس لبناء، وقد تم تخريب الجزء الجنوبي الغربي منه قبل أن تبدأ أعمال التنقيب (الصورة 38).
يوجد ممر منحدر يؤدي لمدخل المدفن الذي يتجه شرقاً، ارتفاعه حوالي 100 سم وعرضه 70 سم (الصورة 39)، يتم من خلاله، النزول إلى فناء المدفن الذي ينخفض منسوبه حوالي 45 سم عن منسوب المدخل. يبلغ عرض الفناء حوالي متر وطوله حوالي مترين، يتوسط مصطبتين يمينية ويسارية، عرض الواحدة متر أيضاً، وترتفعان حوالي 25 سم عنه، ليصبح مخطط المدفن شبه مربع الشكل، طول ضلعه حوالي 3 متر، ارتفاعه يقارب المترين وسقفه ذو شكل منحن.

المصطبتان مستويتان، خصصتا لوضع توابيت عليهما.. تعرضت المصطبة اليسرى للتخريب الشديد وأزيل القسم الأكبر منها، لأنها الجهة التي تم منها اكتشاف المدفن. أما المصطبة اليمنى، فقد عثر عليها بوضعية جيدة (الصورة 40) وبقيت معالم التابوت





الصورة 38 ـ مخطط المدفن



الصورة 39 ـ باب المدفن

الخشبي الذي وضع عليها والذي بلغ طوله حوالي 205 سم وعرضه حوالي 65 سم، وقد عثر على عدة قطع خشبية من أرضيته، أكبرها جزء من لوح يقارب طوله المتر وعرضه 20 سم، وهو من نوع الصنوبريات (الصورة 41) بالإضافة إلى مجموعة من المسامير المعدنية (الصورة 42).
أما بقايا الجثة، فقد عثر على كسر عظمية متشظية بفعل عامل الرطوبة الشديد. وبالنسبة إلى الأثاث الجنائزي، فلم يعثر على الكثير منه في التابوت واقتصر الأمر على بعض الأواني الفخارية (الصورة 43)، وخاتم من الحديد. ويعتقد أن الجثة تعود على الغالب لرجلٍ كبير السن، والتابوت الآخر الذي لم يعثر على آثاره بفعل التخريب والذي كان على المصطبة اليسرى ربما كان يخص زوجة الرجل الذي كان يرقد إلى جوارها. وهذا يدل على تقدير كبير لهما رغم الحالة الاجتماعية غير العالية التي ينتميان لها، والتي يمكن أن ننسبها للطبقة الوسطى من المجتمع، وهذا يعني أن المدفن عائلي استخدم للدفن لمرة واحدة فقط، بينما نعلم أن الكثير من المدافن العائلية العائدة لهذه المرحلة استخدمت لفترة طويلة من الدفن المتكرر.


حمود وعميري، 2010، ص 133 ـ 136

▲ يشار إلى أن المدفن نقب ووثق، وتم طمره لمتابعة الأعمال الإنشائية.


الصورة 40 ـ المصطبة اليمنى


الصورة 41 ـ بقايا خشب التابوت


الصورة 42 ـ بقايا مسامير التوابيت


الصورة 43 ـ جرار فخارية

جبعدين

تقع شمال دمشق حوالي 50 كم، على ارتفاع حوالي 1530 م عن سطح البحر، وهي إحدى القرى الثلاثة في منطقة القلمون (معلولا، جبعدين، الصرخة) التي ما زال سكانها يتكلمون اللغة الآرامية مما يعني أن أصول هذه القرية تعود للعصر الآرامي. تتميز بمدخلها الصخري الجميل (الفج) الذي يبلغ طوله حوالي 150 م، وعرضه حوالي 15 م، وارتفاعه حوالي 50 م (الصورة 44).

لم يبق في القرية منشآت تعود للعصور الكلاسيكية باستثناء المدافن، وربما يعود ذلك للسكن المتواصل فيها.



الصورة 44 ـ فج جبعدين

المنشآت الجنائزية

تنتشر على الهضاب المحيطة بالبلدة مجموعة كبيرة جداً من المدافن المحفورة في الصخور تعود للعصرين الروماني والبيزنطي، تتميز بدقة نحتها وتنوع أشكالها، فبعضها فردي وبعضها جماعي، وبعضها مزود بأدراج.. القسم الأكبر من هذه المدافن في الهضبة الواقعة جنوب البلدة، حيث ينتشر على سطحها أكثر من مئة قبر فردي محفورين في الصخر بكل الاتجاهات.. وخلف تلك القبور على السفوح يوجد حوالي 15 مدفن جماعي (نواويس) معظمها متشابه يضم كل منها فناء وأربع حجرات (واحدة على يمين المدخل وواحدة على يساره، واثنتان في الصدر) في كل حجرة قبران، يتميز كل قبر بأنه من النوع العميق، عمق القسم العلوي حوالي 60 سم، والقسم السفلي حوالي 80 سم مفصولين بحافة..
بعض المدافن توجد في سقفها فتحات دائرية بقطر حوالي 70 سم تصل إلى سطح الهضبة..
كما أن بعض المدافن توجد قبور في فنائها أو أمام مداخلها (الصور من 45 حتى 53).



الصورة 45 ـ منظر عام للمقبرة

الصورة 46 ـ منظر عام للمقبرة

الصورة 47 ـ منظر عام للمقبرة

الصورة 48 ـ منظر عام للمقبرة

الصورة 49 ـ من أبواب المدافن

الصورة 50 ـ من أبواب المدافن

الصورة 51 ـ من أبواب المدافن

الصورة 52 ـ من أبواب المدافن

الصورة 53 ـ فتحات الأسقف

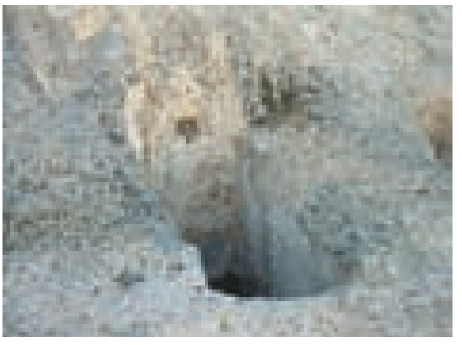
تتميز تلك المدافن بشكل عام بنحت دقيق. ويمكن تصنيفها بثلاثة نماذج:

1 ـ النموذج الأول: قبور فردية محفورة في الصخر (الصورة 54).

2 ـ النموذج الثاني: نواويس فيها حجرة دفن صدرانية واحدة أو اثنتان تقع واجهاتها على خط واحد، وبالتالي الفناء مربع (الصورتان 55 و56).

3 ـ النموذج الثالث: نواويس فيها حجرات دفن صدرانية لا تقع واجهاتها على خط واحد بل على خطين يحصران زاوية منفرجة، وبالتالي الفناء ليس مربعاً وإنما خماسي الأضلاع (الصورتان 57 و58).

▲ يشار إلى أن منطقة المدافن محفوظة بشكل جيد، ومسجلة ضمن المواقع الأثرية السورية بالقرار رقم 14 تاريخ 1978/2/1.

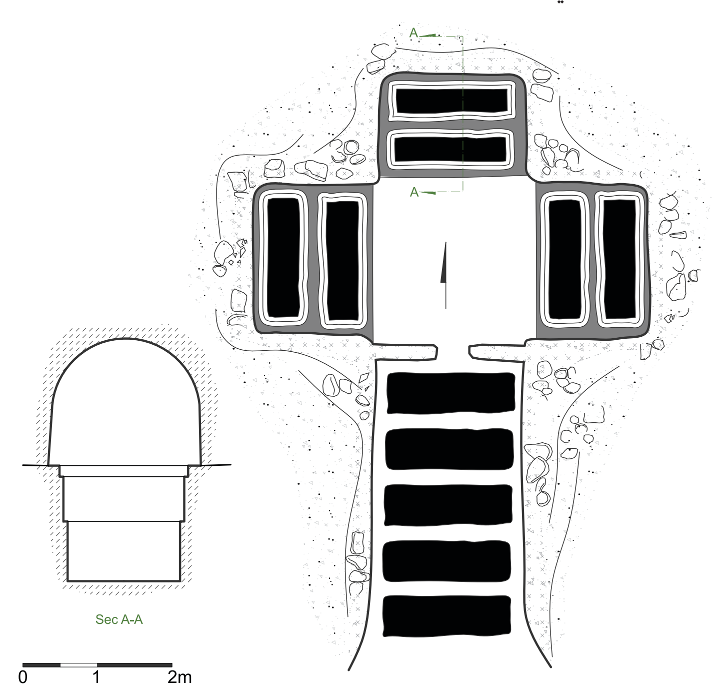


الصورة 54 ـ نموذج القبور الفردية

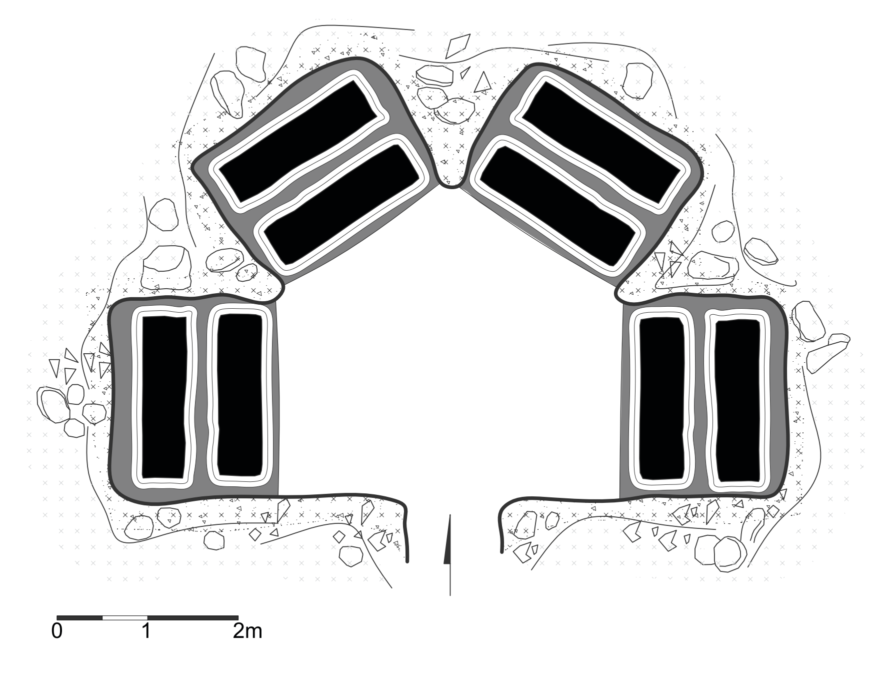


الصورة 56 ـ مدفن من النموذج الثاني

الصورة 55 ـ مخطط من النموذج الثاني



الصورة 57 ـ مخطط من النموذج الثالث



الصورة 58 ـ مدفن من النموذج الثالث



حينة

تقع حينة غرب مدينة دمشق حوالي 55 كم على ارتفاع وسطي حوالي 1080 م عن سطح البحر.

كانت البلدة مزدهرة في العصر الروماني، وتحمل نفس اسمها، ما زالت البقايا المتناثرة في كل مكان تدل على كثافة سكنها وعمرانها، في وسطها بقايا معبد ضخم، وغربي البلدة توجد المقبرة التي كانت تستخدم بوظيفتها نفسها منذ العصر الروماني، وإلى شرق البلدة قليلاً يقع تل الكروم الذي يضم مئات المدافن.. إضافة إلى عدة معاصر، وعشرات العناصر المعمارية المختلفة المنتشرة في أرجاء القرية ومحيطها. استمر ازدهار البلدة في العصر البيزنطي (الصورة 59).

▲ سجل التل الأثري في حينة الذي يضم بقايا المعبد بالقرار رقم 119 تاريخ 1973/6/26.



الصورة 59 ـ قرية حينة

المنشآت والعناصر الجنائزية

1 ـ العناصر المعمارية المتناثرة في البلدة

توجد مجموعة من العناصر المعمارية المختلفة في شوارع وبيوت البلدة مثل قواعد أعمدة، أجزاء من أعمدة بازلتية، مذابح بازلتية، سواكف، أجران، حجارة بناء.. إضافة إلى عدة توابيت حجرية كبيرة وصغيرة، من البازلت أو الحجر الكلسي، بعضها بدون أي زخارف وبعضها بزخارف بسيطة (الصور من 60 حتى 62).



الصورة 60 ـ عناصر معمارية في القرية



الصورة 61 ـ عناصر معمارية في القرية



الصورة 62 ـ عناصر معمارية في القرية

2 ـ الشواهد

A ـ اكتشفت في تل الكروم عام 2004 شاهدة قبر من الحجر الكلسي (110 × 36 × 35 سم) عليها كتابة يونانية مؤلفة من خمسة أسطر، ترجمتها: (تشجع يا باريكبيلوس، ليس هناك أحد خالد)، وهي عبارة شائعة جداً على شواهد القبور، ومن شكل الأحرف يعتقد أنها تعود للقرن الثالث الميلادي (الصورة 63)

Aliquot, 2008, no.49

تمت أعمال التنقيب بإشراف محمود حمود

▲ الشاهدة محفوظة في الموقع.



الصورة 63 ـ شاهدة باريكبيلوس

B ـ اكتشفت في تل الكروم عام 2008 قطعة حجرية تعود لشاهدة قبر عليها كتابة يونانية يتضح منها التاريخ فقط (في اليوم الرابع من شهر أودونايوس عام 478 / جنيوري 136 م/). (الصورة 64)

Aliquot, 2008, no. 51

تمت أعمال التنقيب بإشراف محمود حمود

▲ القطعة الحجرية محفوظة في الموقع.



الصورة 64 ـ شاهدة

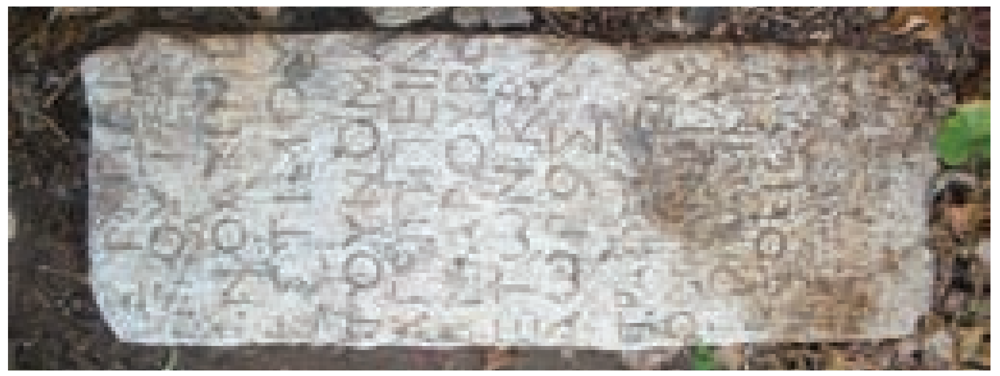
C ـ وفي حديقة أحد المنازل توجد شاهدة قبر طولها 92 سم وعرضها 33 سم، يظهر من سماكتها فوق الأرض 11 سم، عليها كتابة يونانية مؤلفة من ثلاثة عشر سطراً، ترجمتها: (في عام 497 / 186 م/، في السابع عشر من شهر بانيموس، هنا أستريح، اسمي أغريبينوس، ابن اماروروس، توفيت باكراً جداً عندما كان عمري 22 عاماً، كنت يتيماً ربتني /عالتني/ جدتي وأعمامي). (الصورة 65).

(Aliquot, 2008, no. 50)

▲ الشاهدة محفوظة في الموقع.



الصورة 65 ـ شاهدة أغريبينوس



3 ـ مقبرة البلدة

تقع جنوب غرب البلدة حوالي 1 كم، كانت المقبرة القديمة لبلدة العصر الروماني، ومن خلال نماذج المدافن الفخمة فيها يعتقد أنها كانت مقبرة للأغنياء، وتضم عشرات المدافن المحفورة في الصخر بعدة أشكال (الصورة 66):

A ـ نموذج القبور الفردية (الصورة 67).

B ـ نموذج النواويس العادية المحفورة تحت الأرض (الصور من 68 حتى 70).

C ـ نموذج الحفرة المستطيلة التي توجد في أرضيتها قبور فردية (الصورة 71).

D ـ نموذج الحفرة المستطيلة التي توجد أبواب المدافن في جدرانها (الصورة 72).

الصورة 66 ـ مقبرة القرية




الصورة 67 ـ قبر فردي


الصورة 68 ـ ناووس جماعي


الصورة 69 ـ ناووس جماعي


الصورة 70 ـ ناووس جماعي


الصورة 71 ـ قبر فردي ضمن حفرة


الصورة 72 ـ مدافن مداخلها في حفرة

E ـ أحد تلك المدافن نحت على واجهته الصخرية تمثالان نصفيان غير واضحي المعالم (يسميهما الناس الملك والملكة)، كما يوجد فوق بابه كتابة يونانية تذكر اسم شخص (آركي لاوس)، كان Fossey قد نشرها عام 1897 وكذلك Mouterde عام 1959.
(الصور من 73 حتى 75)

Fossey، 1897، no 69

Mouterde، 1959، pl. 11

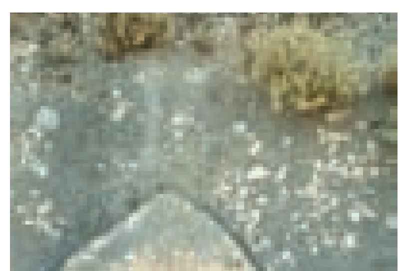
Aliquot, 2008, no. 48



الصورة 73 ـ مدفن الملك والملكة



الصورة 74 ـ بقايا تماثيل الملك والملكة



الصورة 75 ـ نص آركي لاوس

تلك المدافن خالية حالياً من محتوياتها الأصلية، وما زال سكان البلدة يستخدمونها مدافن لموتاهم، إضافة إلى المدافن الجديدة التي ما زالت تبنى في نفس المقبرة.

4 ـ مدفن ضهر الضبع

مقبرة القرية تلك تعتبر بداية سلسلة من الهضاب الصخرية المتتالية التي تستمر نحو الغرب وتسمى ضهر الضبع، وبين هذه الهضاب توجد بعض الشعاب التي تخترقها عرضياً تنتشر حولها المدافن والكهوف، وفي أحد هذه الشعاب على بعد حوالي 3 كم من حينة على يمين الطريق المتجه إلى بيت جن، يوجد تجويف في الصخر أبعاده حوالي 5 × 8 م وبارتفاع حوالي10 م، يشكل ما يشبه القاعة أرضيتها الأصلية مردومة، وعلى الجرف الداخلي المقابل لباب القاعة، وعلى ارتفاع حوالي 2 م من الأرضية الحالية، نحت شكل مشوه قليلاً يبدو أنه تمثال لشخص جالس على كرسي، وعند مستوى قدمي هذا التمثال وعلى محيط القاعة نحتت عدة تجاويف في الصخر، تشير إلى أماكن استناد جسور خشبية كانت تشكل سقفاً لهذه القاعة يقع التمثال فوق مستواه بشكل يدعو للتساؤل، ولعل هذه القاعة كانت مخصصة كمدفن لصاحب التمثال، ومن ثم أعيد استخدامها بوظيفة أخرى. وأمام القاعة وعلى الطرف المقابل من الشعب، يوجد تجويف آخر صغير فيه بئر ماء مخصص لجمع المياه التي تنسكب إليه عبر أخاديد محفورة على سطح الجرف الصخري. وفي نفس الشعب تجاويف صخرية أخرى حفرت في بعضها حفر لجمع الماء بنفس طريقة الأخاديد (الصور من 76 حتى 78).

▲ يشار إلى أن التمثال المذكور تعرض للتخريب منذ عدة سنوات.

الصورة 76 ـ مدفن ضهر الضبع



الصورة 77 ـ تمثال مدفن ضهر الضبع

الصورة 78 ـ مخطط مدفن ضهر الضبع

5 ـ مقبرة تل الكروم

يقع تل الكروم شرق القرية حوالي 500 م، كشفت أعمال التنقيب الطارئة التي نفذت فيه عام 2004 عشرات القبور أغلبها يعود لأواخر العصر الروماني والعصر البيزنطي، وهي مختلفة الأشكال بعضها محفور في التربة مباشرة، وبعضها مبني بحجارة غشيمة بشكل بسيط، والآخر مبني بحجارة منحوتة بشكل معتنى به، بعضها فارغ (منهوب سابقاً) وبعضها يضم جثة واحدة أو أكثر، وبشكل عام كانت اللقى المكتشفة فيها قليلة كبعض الأسرجة والكسر الفخارية (الصور من 79 حتى 86).

تمت أعمال التنقيب بإشراف محمود حمود

▲ التل قيد التنقيب حالياً.



الصورة 79 ـ قبور تل الكروم

الصورة 80 ـ قبور تل الكروم

الصورة 81 ـ قبور تل الكروم

الصورة 82 ـ قبور تل الكروم

الصورة 83 ـ قبور تل الكروم

الصورة 84 ـ قبور تل الكروم



الصورة 85 ـ قبور تل الكروم



الصورة 86 ـ قبور تل الكروم

6 ـ اكتشف عام 2004 مدفن مبني بالحجارة تحت الأرض ضمن البلدة، مخططه مستطيل، كان يضم هياكل عظمية لحوالي أربعين جثة متراكمة فوق بعضها، وقد وجدت فيه مجموعة من اللقى البيزنطية المهمة تعود للقرن السادس مثل الأسرجة والحلي (أساور وخواتم معدنية)، واكسسوارات الثياب، ومجموعة من الخرز المصنوع من الحجارة أو الزجاج أو الخشب (الصور من 87 حتى 91).

تمت أعمال التنقيب بإشراف محمود حمود، وتم الحفاظ على المدفن ضمن عقار خاص.



الصورة 87 ـ مدفن 2004 قبل التنقيب



الصورة 88 ـ مدفن 2004 بعد التنقيب



الصورة 89 ـ مدفن 2004



الصورة 90 ـ مدفن 2004



الصورة 91 ـ لقى مدفن 2004

7 ـ مدفن تل الكروم

ظهر عام 2008 على السفح الشمالي الشرقي لتل الكروم، وهو مدفن مبني تحت الأرض يتألف من بوابة خارجية تؤدي إلى ممر وبوابة داخلية تصل إلى فناء تحيط به المعازب بطابقين من الجهات الثلاثة الباقية، مبنية بالحجارة البازلتية.

عمق سطح المدفن عن سطح الأرض حوالي نصف متر حالياً، ويبدو أنه كان على المستوى نفسه بسبب وجود صف من الحجارة المبنية حوله لمنع وصول المياه السطحية إليه.

ارتفاع المدفن من سطح أرضيته حتى السقف حوالي 165 سم، وسماكة السقف حوالي 35 سم، وهو عبارة عن البلاطات البازلتية للطابق الثاني من المعازب وضعت فوقها طبقة من الحجارة ثم طبقة من المونة الكلسية. بقي من هذا السقف قطعة في الجزء الجنوبي مساحتها حوالي 6 متر مربع.

طول المدفن من الشمال للجنوب 600 سم، ومن الشرق للغرب 675 سم.

يقع المدخل في الجهة الشمالية، بقي منه ارتفاع حوالي 130 سم، يتألف من ثلاثة أقسام:

البوابة الخارجية: عرضها 70 سم، مزودة بعتبة عرضها 35 سم.

الممر: عرضه 160 سم، وطوله مترين، بقي من جداره الأيمن (الغربي) خمسة مداميك، ومن جداره اليساري (الشرقي) أربعة مداميك.

البوابة الداخلية (الأساسية): عرضها 150 سم، لها عتبة ترتفع عن أرضية البهو حوالي 30 سم.

القسم الخارجي من هذا المدخل (البوابة الخارجية والممر) أضيف للمدفن في مرحلة لاحقة.
يؤدي المدخل إلى فناء طوله من الشرق للغرب 200 سم ومن الشمال للجنوب 175 سم، أرضيته مغطاة بطبقة من المونة الكلسية رسمت عليها زخارف هندسية بواسطة خطوط غائرة.
تتألف الزخارف الهندسية من دائرة في مركز البهو، داخلها زهرة بست وريقات، وهناك أربع دوائر في الزوايا، تصل ما بين دوائر الزوايا مع بعضها ومع دائرة المركز معينات.
حول الفناء تتحلق معازب المدفن، عددها خمسة عشر، ثمانية في الطابق الأرضي (3 في الجنوب، 3 في الشرق، 2 في الغرب) وسبعة في الطابق الأعلى (3 في الجنوب، 2 في الشرق، 2 في الغرب).
بنيت هذه المعازب من الحجارة البازلتية المنحوتة جيداً، طول كل منها 2 م، والعرض بين 60 و80 سم، وارتفاع كل طابق 75 سم.
توجد أجزاء مفقودة من جدران بعض المعازب وأسقفها، وكذلك من جدران الممر والفناء.
لم تكتشف أي هياكل عظمية في المعازب، بسبب النهب القديم للمدفن، عثر على بعض الكسر العظمية في فناء المدفن، إضافة إلى حوالي خمسين سراجاً تعود للعصور البيزنطية والأموية والعباسية.. كما عثر في الممر على جرة فخارية صغيرة، وفلكة مغزل، وبعض الخرزات، والأساور الزجاجية والبرونزية ونقد برونزي.
من خلال المكتشفات، يبدو أن المدفن استخدم لفترة طويلة، من أواخر العصر البيزنطي وحتى العصر العباسي (الصور من 92 حتى 103).

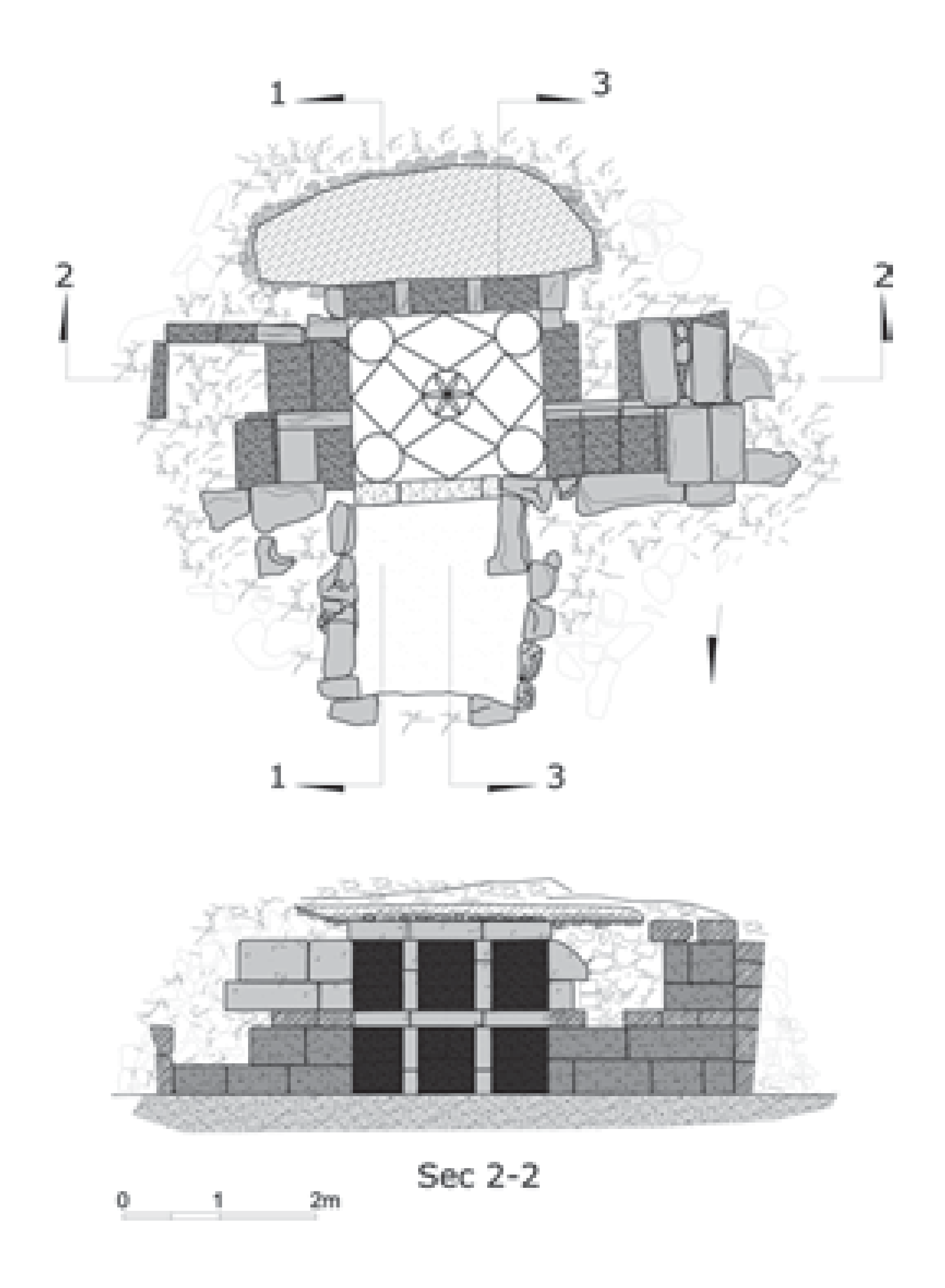
حمود، 2009، ص 138 ـ 146

(الصور من 100 حتى 103 مأخوذة من المقالة المذكورة)

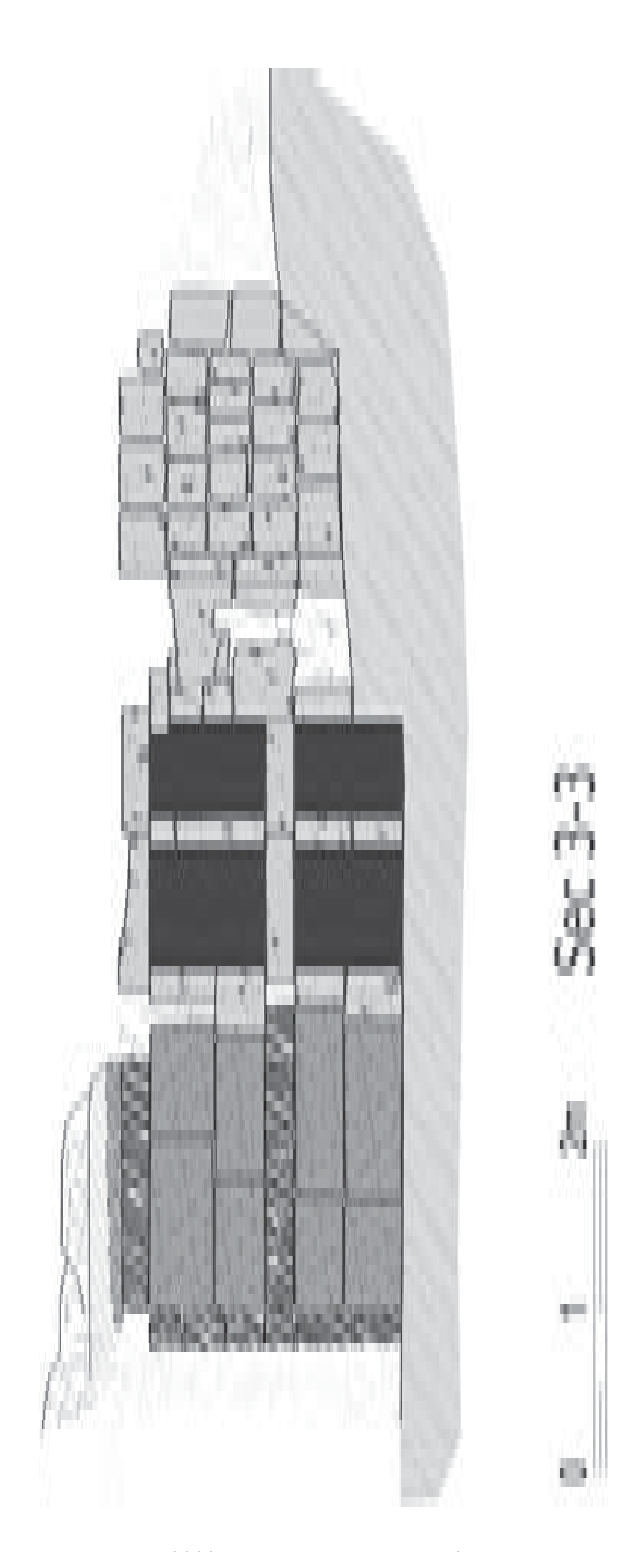
▲ المدفن محفوظ بشكل جيد في التل.

الصورة 92 ـ مدفن تل الكروم 2008



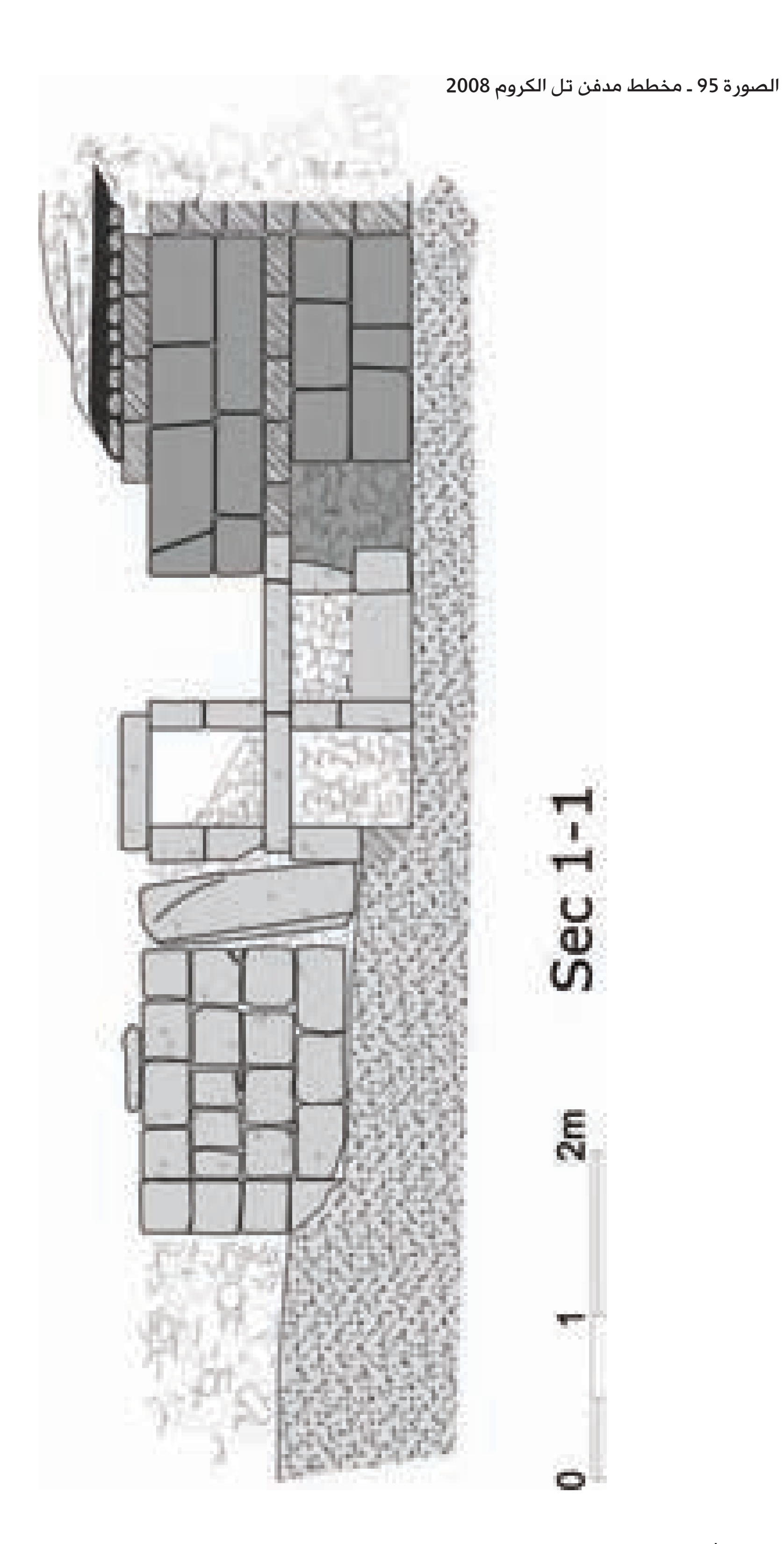


الصورة 93 ـ مخطط مدفن تل الكروم 2008



الصورة 94 ـ مخطط مدفن تل الكروم 2008

الصورة 95 ـ مخطط مدفن تل الكروم 2008




الصورة 96 ـ مدخل المدفن

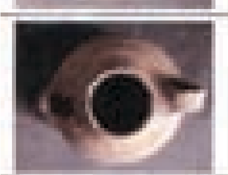

الصورة 97 ـ معازب المدفن


الصورة 98 ـ داخل معزبة


الصورة 99 ـ زخارف أرضية الفناء


الصورة 100 ـ جرة فخارية







الصورة 101 ـ أسرجة بيزنطية



الصورة 102 ـ أسرجة أموية

الصورة 103 ـ أسرجة عباسية

8 ـ مدفن البلدية 2008

تم العثور على هذا المدفن تحت أرضية الشارع الذي يمر أمام مدخل البلدية عام 2008 أثناء تنفيذ بعض الأعمال، تبين أنه تعرض للكثير من التخريب الذي نتج عن حفريات قديمة مشابهة تمت في السبعينيات من القرن الماضي في المكان نفسه وأسفرت عن إزالة الكثير من معالمه وخاصة السقف وبعض الجدران، وهو من النموذج المبني تحت الأرض على شكل فناء ومعازب حوله.

المدفن شبه مستطيل أبعاده الداخلية حوالي 375 سم من الشرق للغرب و250 سم من الشمال للجنوب،

ارتفاعه غير واضح بسبب التهدم بقي منه الجدار الشمالي بارتفاع 165 سم ويتألف من خمسة مداميك بارتفاع وسطي لكل منها 30 ـ 40 سم، وبسماكة حوالي 25 سم.

يتم النزول إلى المدفن من جهة الشرق عبر درج بقيت منه الدرجة الأخيرة التي تتقدم مدخل المدفن، وهي عنصر معماري أقدم أعيد استخدامه. يتم من خلالها النزول لعتبة المدخل، عرض المدخل حوالي 90 سم، ارتفاعه غير واضح بسبب تهدم الجدار القائم فيه، إذ لم يبق منه إلا مدماك واحد.

يؤدي المدخل إلى فناء أبعاده 250 سم من الشمال للجنوب، و175 من الشرق للغرب، تطل عليه القبور الستة من جهة الغرب بشكل طولاني، ثلاثة في الطابق الأول حافظت نسبياً على معالمها، وفوقها ثلاثة في الطابق الثاني بقيت بعض الحجارة التي تشير إليها.

- **القبر رقم (1)**

يقع في الجهة الجنوبية ويبدو أنه بني بشكل مسبق ومستقل عن بقية أجزاء المدفن، إذ استخدمت في بنائه تقنية بسيطة (حجارة غير مشذبة في الجدارين الغربي والجنوبي، وألواح الغطاء الخمسة مختلفة الأحجام والأشكال)، أبعاده أصغر من بقية القبور (الطول 175، العرض 50، والارتفاع 70 سم).

وجدت في أرجاء القبر عظام مبعثرة يبدو أنها نتجت عن التخريب الذي تعرض له المدفن قبل عدة عقود.

- **القبر رقم (2)**

يقع في الوسط، بني من حجارة مشغولة ومشذبة جيداً، بقي من جدرانه مدماكان بارتفاع 57 سم، طوله حوالي 200 سم، وعرضه 57 سم. أما الغطاء فقد كانت ألواحه الحجرية مشذبة ومشغولة بعناية لم يبق منها إلا لوح واحد في مكانه في الجهة الغربية طوله حوالي متر وعرضه حوالي 50 سم، والألواح الثلاث الأخرى منهارة وجد أحدها في الفناء.

فوق هذا القبر بقي مدماكان من القبر الواقع في الطابق الثاني وهما جزء من الجدار الغربي للمدفن الرئيسي.

العظام التي عثر عليها في المدفن كانت مبعثرة أيضاً بفعل التخريب الحاصل.

- **القبر رقم (3)**

يقع إلى الشمال من القبرين السابقين، يمثل جداره الغربي جدار المدفن الرئيسي. طول القبر 200 سم، وعرضه 75 سم، وارتفاعه 68 سم. بني من حجارة منحوتة ومشذبة وبقي من

جدرانه مدماكان. ويبدو أن جداره الشمالي، وهو امتداد لجدار المدفن الرئيسي ومفصول عنه قليلاً، بني بشكل منفصل عن بناء فناء المدفن وقبور الطابق الثاني التي جاءت في مرحلة لاحقة. الجدار الجنوبي لهذا القبر، وهو الحد الفاصل مع القبر الثاني، لم يبق منه إلا مدماك واحد، وكذلك بالنسبة للجدار الغربي (وهو جدار المدفن الرئيسي) الذي لم يبق منه سوى مدماك واحد أيضاً.

اللقى

عثر في القبور وفي فناء المدفن على مجموعة من الأواني الفخارية والأسرجة، والأساور المعدنية والزجاجية مختلفة الأشكال والأحجام، وأجراس معدنية، وفلكات مغازل، ونقود برونزية.

الخلاصة

من خلال التفاصيل المعمارية للمدفن، يبدو أنه بني على عدة مراحل. في البداية فتح القبر رقم (1)، وبني بشكل بسيط باستخدام حجارة غشيمة بالكامل، ثم فتح القبران (2) و(3) سوية حيث استخدمت تقنية مختلفة في البناء واستعملت الحجارة النظامية المشذبة لإنجاز كافة جدران القبرين وأغطيتهما، وفي المرحلة الثالثة جرى توسيع المدفن وإلحاق الفناء به وبناء المدخل والدرج. وفي هذه المرحلة تم على ما يبدو أشيد الطابق الثاني من المدفن فبنيت ثلاثة قبور استخدمت فيها التقنية ذاتها.

معظم بقايا العظام التي عثر عليها في قبور المدفن كانت مبعثرة أو مجموعة في زوايا القبر وهي تخص كباراً وصغاراً، إناثاً وذكوراً. كما بقيت بعض اللقى الأثرية في أرضية بعض القبور، وقد كانت في بعض الأحيان في غير محلها. واستناداً لهذه اللقى الأثرية والفخار الذي عثر عليه في المدفن يمكن تأريخ المدفن للفترة البيزنطية المتأخرة (الصور من 104 حتى 109 من المقالة المذكورة).

حمود، 2009، ص 138 ـ 146

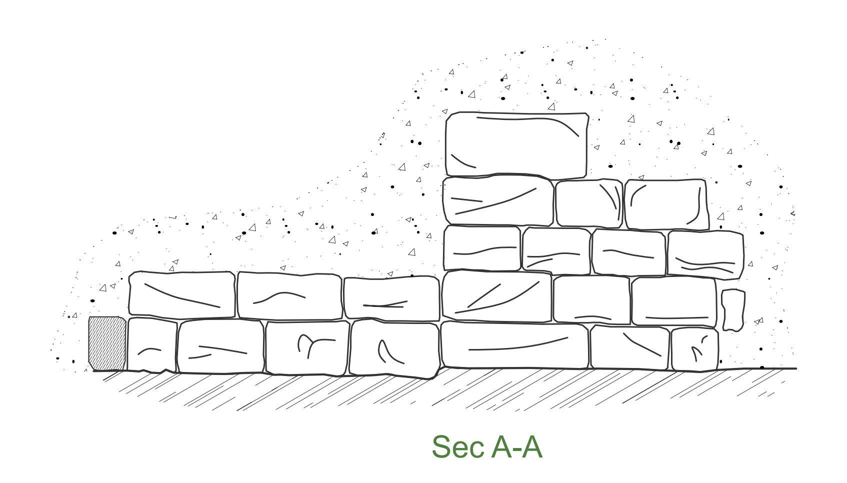
▲ يشار إلى انه تم ردم المدافن بعد التنقيب والتوثيق لمتابعة العمل.



الصورة 104 ـ مدفن 2008 قبل فتح القبور



الصورة 105 ـ مدفن 2008 بعد فتح القبور



A A

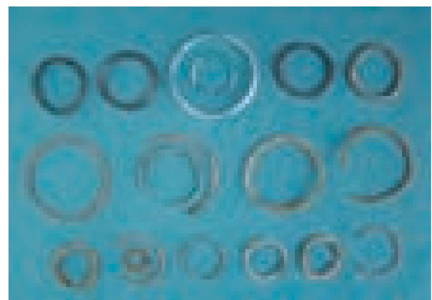
3

2

1

0 1 2m

الصورة 106 ـ مخطط مدفن 2008



الصورة 107 ـ أساور مختلفة الأنواع والأشكال





الصورة 108 ـ خرز من مختلف الأنواع



الصورة 109 ـ أوان فخارية

9 ـ مدافن شمال البلدية

في عام 2008 تم العثور على ثلاثة مدافن أثناء قيام أحد المواطنين بتجريف أرضه لإنشاء محضر بناء في الجهة الجنوبية الشرقية من التل الأثري الذي تقوم عليه البلدة. حفرت المدافن بشكل متواز وعلى منسوب متقارب في تربة بركانية بازلتية قاسية. يبعد القبر(1) الواقع في الوسط عن القبر(2) الواقع يساراً إلى الغرب بحدود 250 سم، ويبعد القبر(3) الواقع إلى يمين القبر(1) بحدود 210 سم (الصورة 110).

الصورة 110 ـ مدافن شمال البلدية 2008



• القبر (1)

اتجاهه شمال جنوب مع انحراف بسيط نحو الغرب، الأبعاد الخارجية 220×88 سم، بنيت الجدران بمدماكين من الحجارة الكلسية المنحوتة بسماكة 22 سم، وارتفاع 100 سم. أما الغطاء فقد تألف من خمس شطحات بازلتية بطول 175 سم للواحدة وعرض ما بين 40 ـ 72 سم وسماكة 20 ـ 25 سم.

عثر في القبر على هيكل عظمي واحد تعلوه طبقة رقيقة من التراب الناعم وضع فوقه الأثاث الجنائزي. وضعت مجموعة من الأواني (ومن بينها الكؤوس) على يمين الرأس وتوزعت بقية الأواني حول الهيكل العظمي، كما وضع إناء كبير في الزاوية الجنوبية الشرقية من القبر.

يعتقد أن المدفن يخص إحدى نسوة البلدة المهمات خلال هذه المرحلة.

(الصور من 111 حتى 113)

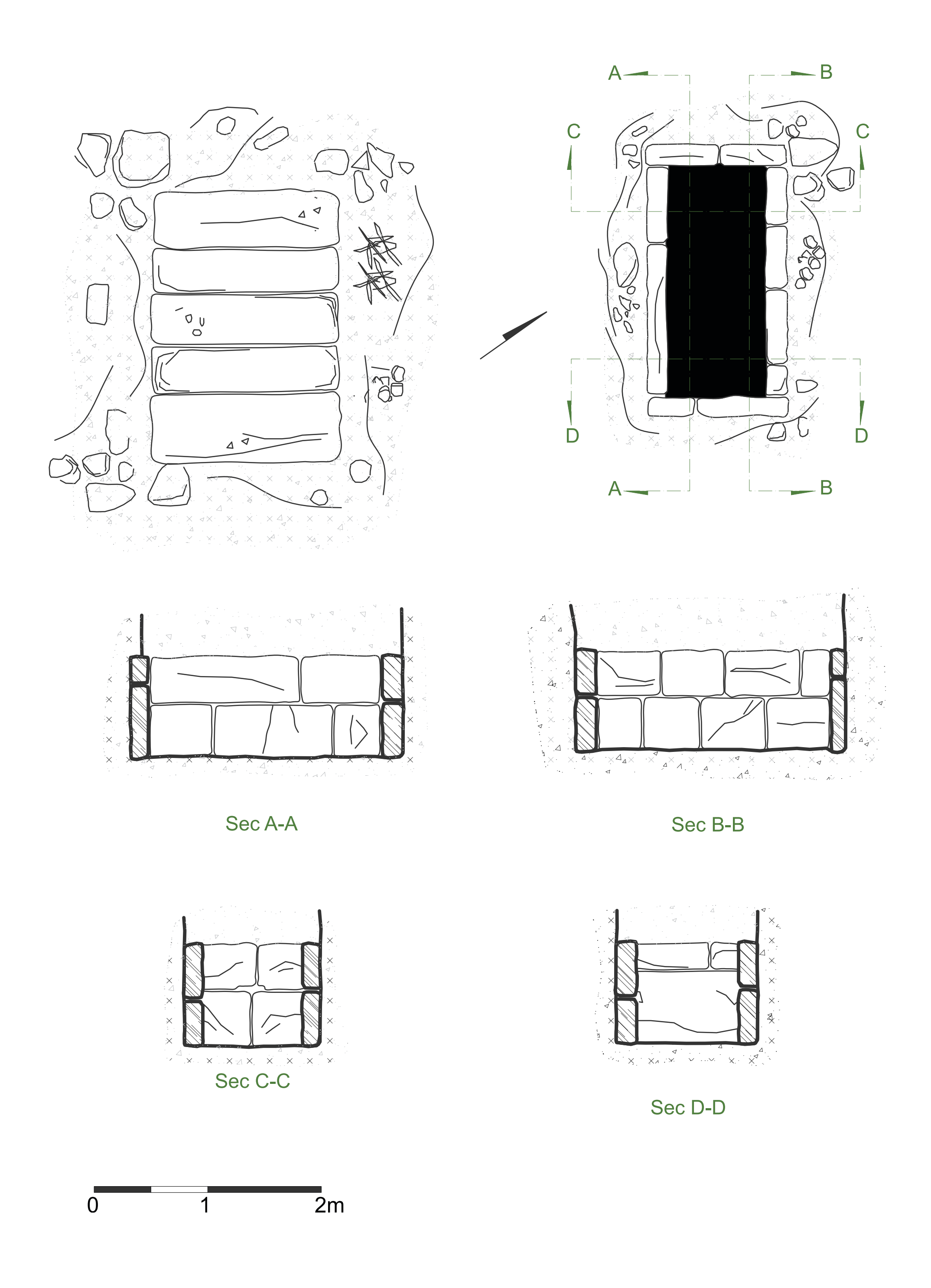


الصورة 111 ـ القبر 1





الصورة 112 ـ هياكل القبر 1



الصورة 113 ـ مخطط القبر 1

اللقى:

1 ـ كأس زجاجي كبير مخروطي الشكل، اللون أزرق شفاف تظهر عليه آثار طلاء مينا فضية. في الجزء العلوي زخارف على شكل مضلعات أفقية قليلة البروز، في الجزء السفلي من الكوب على السطح الخارجي يوجد شريط زجاجي نافر. القاعدة مقعرة من الأسفل. قطر الفوهة 10.6 سم، قطر القاعدة 7.4 سم، الارتفاع 16.8 سم.

2 ـ كأس من الزجاج السميك متوسط الحجم، اللون أخضر شفاف تظهر عليه بقايا طلاء فضية اللون (مطلي بالمينا)، الزخرفة عبارة عن أضلاع في النصف العلوي من الكأس، وفي المنتصف يظهر شريط زجاجي نافر، القاعدة مسطحة من الأسفل. قطر الفوهه 7.3 سم، قطر القاعدة 4.8 سم، الارتفاع 11.1 سم.

3 ـ كأس من الزجاج السميك متوسط الحجم، اللون أخضر شفاف، تظهر عليه بقايا طلاء من المينا الفضية. الزخرفة عبارة عن أضلاع أفقية تستمر حتى منتصف الكأس، وفي المنتصف يظهر شريط نافر. القاعدة مسطحة من الأسفل. قطر الفوهة 6.5، قطر القاعدة 4.5، الارتفاع 11.4 سم.

4 ـ نفخة زجاجية رقيقة من الزجاج الشفاف المخضر تظهر عليه بقايا طلاء من المينا الفضية. لها رقبة مخروطية الشكل طويلة. القاعدة مقعرة قليلاً. قطر الفوهة 6.1 سم، السماكة 2.5 مم، الارتفاع 11.1 سم.

5 ـ إبريق صغير الحجم، لونه أخضر وعليه بقايا طلاء مينا سوداء اللون، له عروة تصل بين الكتف والفوهة، وعليه زخرفة طولا نية على شكل أضلاع غائرة ونافرة تمتد من أسفل العنق وحتى القاعدة. الفوهة مثلثة الشكل ضغطت من ضلعيها لتشكل الميزاب. الارتفاع 9.6 سم، قطر القاعدة 4.5 سم.

6 ـ نفخة صغيرة الحجم، من الزجاج الأخضر الشفاف مطلية بالمينا الفضية، القاعدة مقعرة قليلاً. الارتفاع 4.3 سم، قطر الفوهة 2.2 سم.

7 ـ إبريق زجاجي متوسط الحجم، من الزجاج الرقيق جداً الأخضر المصفر السميك الشفاف المطلي بالمينا الفضية. العروة تصل بين الفوهة والكتف، الفوهة مثلثة الشكل ضغطت من الجانبين لتشكل الميزاب، القاعدة مقعرة قليلاً. على الإناء زخارف على شكل شريط على العنق وفي البطن. في الثلث السفلي منه شريط زجاجي نافر عريض قليلاً، وشريط آخر متكسر الشكل، إضافة لشريطين دقيقين في أسفلهما خيط مثلثي نافر عريض وأشكال شبه نباتية ولون هذه الأشرطة أزرق. الارتفاع 11.5 سم، قطر الإبريق 7.3 سم.

8 ـ بكاية من الزجاج الشفاف الأخضر. الارتفاع 10.6 سم، قطر الفوهة 2.8 سم.

9 ـ نفخة زجاجية رقيقة السماكة، ذات لون أزرق شفاف عنقها طويل خالي الزخارف (فوهة تضيق عند العنق) على البطن زخارف بشكل ضلوع طولانية. الارتفاع 11 سم، قطر الفوهة 5.8 سم.

10 ـ إبريق من الزجاج الشفاف السميك، اللون بني مخضر. له عروة تصل الكتف مع الفوهة، الفوهة دائرية عليها شريط زخرفي نافر عريض من نفس اللون، ويوجد شريط مشابه على العنق، توجد زخرفة بشكل شريطين دقيقين على جسم الإناء وتحتهما خطوط متكسرة بلون فيروزي غامق. ارتفاعه 13 سم، قطر الفوهة 4.5 سم (الصورة 114).



الصورة 114 ـ اللقى الزجاجية في القبر 1


الصورة 115 ـ لقى القبر 1

11 ـ مبخرة من الفخار المشوي مصنوعة بالدولاب مؤلفة من جزئين ملتصقين، صحن المبخرة وقاعدة اسطوانية الشكل يرتكز عليها الصحن. جمعت القاعدة مع الصحن بطريقة اللصق قبل الشي. الصحن مخروطي الشكل عليه أضلاع في جزئه الأسفل. على سطح الفوهة زخارف محفورة بأداة حادة بشكل حزوز متتالية على شكل السعفة. الوجه الخارجي لصحن المبخرة عليه زخارف على شكل معينات صنعت بطريقة الحز والتشطيب. على القاعدة الأسطوانية المفرغة من الداخل زخارف غائرة صنعت بطريقة الحفر تشبه الزخارف الموجودة على فوهة الصحن وهي السعفة. قطر الصحن 16 سم، قطر القاعدة 10 سم، ارتفاع القاعدة 12 سم (الصورة 115).


الصورة 116 ـ لقى القبر 1

12 ـ إناء فخاري صغير يشبه طائر الزرزور. على الرقبة زخارف عبارة عن دوائر صغيرة صنعت بطريقة الطبع وبداخل هذه الدوائر نقاط. على الجسم حزوز غائرة شعاعية صنعت بطريقة الضغط بأداة حادة، يفصل بينها خطوط أعرض منها أفقية الشكل نفذت بطريقة الحفر وبداخل هذه الخطوط توجد زخارف عبارة عن خطوط منكسرة ناعمة جداً. كما يوجد بعض الخطوط تحت العروة وزخارف على العروة. وهناك حز آخر محفور يحيط بأسفل الإناء المحدب القاعدة رمز به لذيل الطائر. الارتفاع 9.7 سم، العرض 6.3 سم (الصورة 116).


الصورة 117 ـ لقى القبر 1

13 ـ إبريق فخاري صغير الحجم له عروة، اللون بني غامق، الفوهة مثلثية الشكل ضغطت من الجانبين لتشكل الميزاب. على البطن زخرفة بشكل مضلعات، وعليه زخارف على الكتف وعند الفوهة نفذت بطريقة التمشيط. القاعدة مقعرة. ارتفاعه 9.2 سم، قطر القاعدة 4 سم (الصورة 117).



الصورة 118 ـ لقى القبر 1



الصورة 119 ـ لقى القبر 1

الصورة 120 ـ لقى القبر 1



14 ـ حق فخاري صغير، له عروة من الشفة تلتصق بها وتمتد إلى بطن الحق. اللون بيج، على بطن الحق زخرفة بشكل مضلعات. ارتفاعه 7.2 سم، قطر الفوهة 5.3 سم، قطر القاعدة 2.8 سم (الصورة 118).

15 ـ مجموعة من الخرز المختلفة الحجم والمادة (زجاج، خشب، حجر) (الصورة 119).

16 ـ قرط من الذهب مفرغ من الداخل على شكل ضفيرة ينتهي بقفل وهو على شكل مسمار شريطي صغير. الوزن 2.7 غرام.

17 ـ قرط من الذهب مفرغ من الداخل على شكل ضفيرة، ينتهي بقفل وهو على شكل مسمار شريطي صغير. الوزن 2.9 غرام.

18 ـ زوج حلق ذهبي، الأول: عبارة عن حلقة كبيرة من الأعلى تلتصق بها حلقة صغيرة تتدلى منها حلية، ترتبط معها بحلقة صغيرة، مرصعة بحجر كريم (أو زجاجي) أخضر اللون، كما تتدلى منها سلسلة أخرى أطول مؤلفة من ثلاثة أجزاء متواصلة صنعت من شريط دقيق، وتنتهي هذه السلسلة بحلية لها حلقة، وفي وسطها فراغ لوضع الحجر الكريم المفقود.

الثاني: مشابه في أوصافه للأول مع فارق أن حجر الحلية الأول مفقود، إضافة لحجر السلسلة التي تتدلى مباشرة من حلقة الحلق الكبيرة. الوزن الإفرادي 3.5 غرام. الوزن الكامل 7 غرام (الصورة 120).

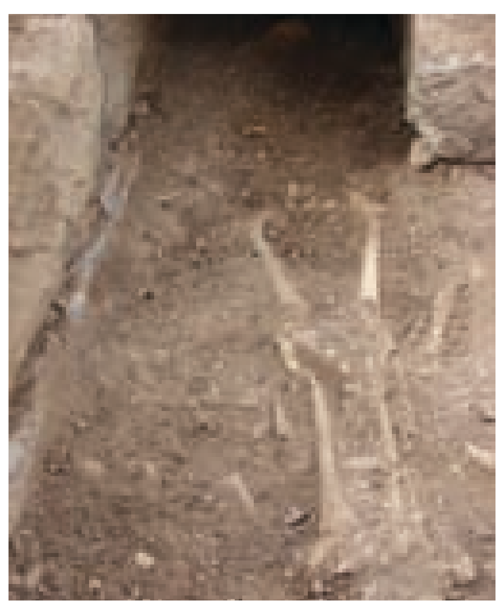

الصورة 121 ـ لقى القبر 1

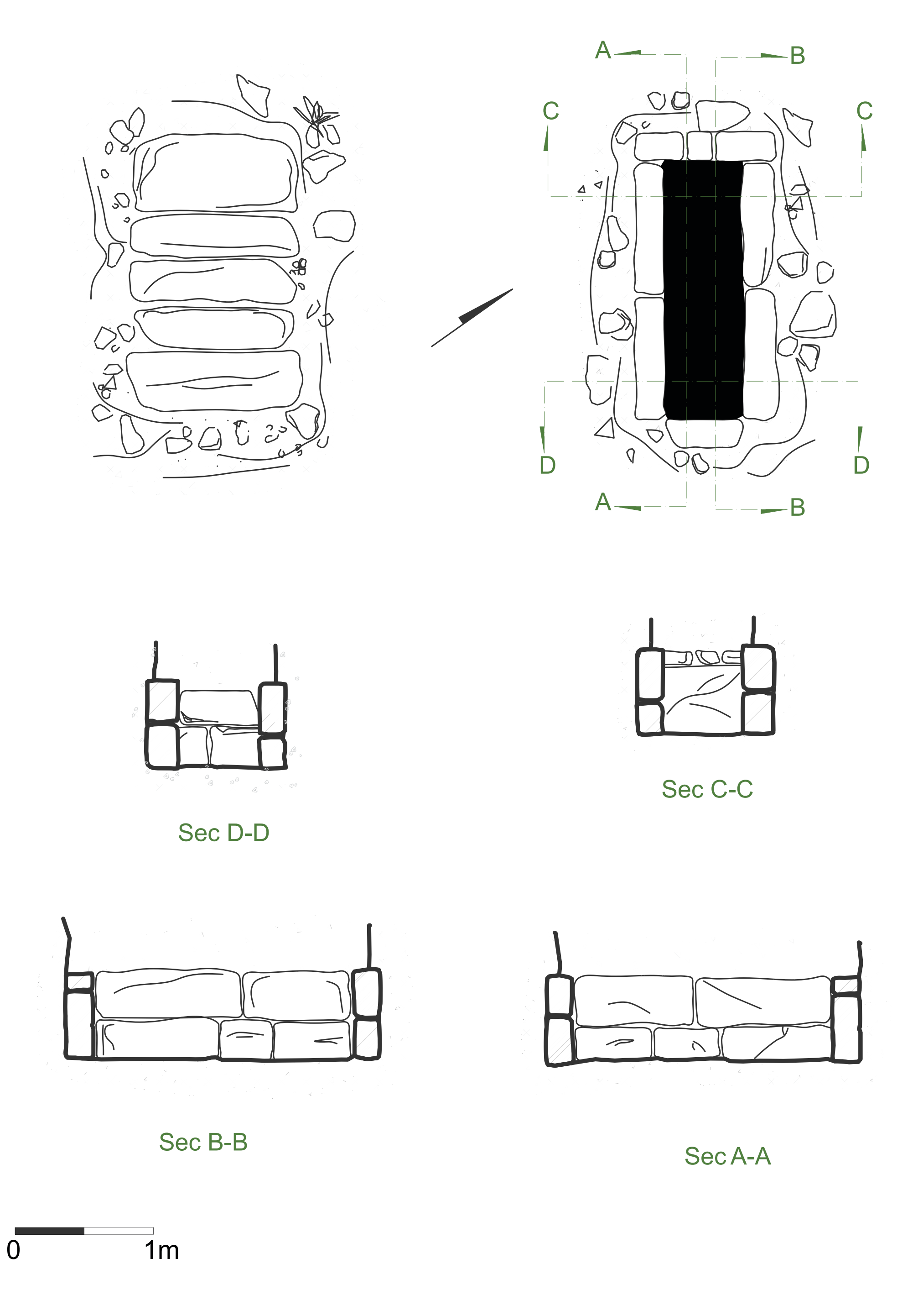
19 ـ فلكة مغزل من الحجر.
20 ـ قطعة خشبية تشبه فلكة المغزل عليها دوائر صغيرة جداً سوداء اللون. (الصورة 121)
21 ـ سبعة خواتم من الحديد.
22 ـ أجزاء أطواق وحلي معدنية غير كاملة.

• القبر (2)

أقيم على بعد 250 سم إلى الجنوب الغربي من القبر الأول، له الاتجاه نفسه، وهو مواز له تماماً لكن منسوب سطحه ينخفض بحدود 15 سم عن منسوب القبر الأول، يبلغ طول هذا القبر حوالي 230 سم وعرضه حوالي 115 سم من الخارج، أما من الداخل فيبلغ طول الفراغ حوالي 188 سم وعرضه حوالي 60 سم، ارتفاعه حوالي 65 سم، بني أيضاً من مدماكين ماعدا الواجهة الأمامية، التي تتألف من مدماك واحد ارتفاعه 52 سم وبعض الحجارة الرقيقة فوقه، أما الغطاء فيتألف من خمسة ألواح حجرية شبه مستطيلة الشكل، طول الواحدة منها 120 سم وعرض أصغرها 35 سم وأكبرها 58 سم.
وجد في القبر هيكل عظمي شبه كامل، ما عدا جزء من العمود الفقري والقفص الصدري، كما أن الجمجمة لم تكن بوضعها الكامل ويبدو أن هذا الهيكل يخص امرأة. كما وجد عدد من العظام توضعت في أجزاء مختلفة من القبر ولكن القسم الأكبر منها وضع في زوايتي القبر الجنوبيتين. وهذا يعني أن القبر استخدم للدفن أكثر من مرة واحدة بعد إزاحة العظام من قلب أرضية القبر ووضعها في الزوايا. وهذا يشير إلى أن عائلة واحدة هي من قامت باستخدام هذا القبر لأكثر من حالة دفن واحدة (الصور من 122 حتى 124).


الصورة 122 ـ القبر 2


الصورة 123 ـ هياكل القبر 2



الصورة 124 ـ مخطط القبر 2

اللقى

1 ـ كأس متوسط الحجم، من الزجاج السميك الأخضر الشفاف تظهر عليه بقايا طلاء (مطلي بالمينا الفضية اللون)، القاعدة مسطحة من الأسفل. الزخرفة عبارة عن أربعة أشرطة زجاجية نافرة ذات لون فيروزي غامق تحيط بالكأس، الشريط الأدنى منها (الرابع) عبارة عن زخارف على شكل خطوط منكسرة. ارتفاعه 9.5 سم، قطر الفوهة 6.3 سم، قطر القاعدة 5.1 سم.

2 ـ كأس متوسط الحجم، من الزجاج الشفاف الأخضر عليه بقايا طلاء بالمينا الفضية، القاعدة مستوية، يوجد شريط أفقي زجاجي نافر دقيق يحيط بالكأس في منتصفه. ارتفاعه 10.4 سم، قطر الفوهة 6.4 سم، قطر القاعدة 4.4 سم.

3 ـ كأس متوسط الحجم، من الزجاج الأزرق المطلي بالمينا الفضية، القاعدة مسطحة. يوجد شريط أفقي زجاجي نافر يحيط بالكأس من المنتصف. ارتفاعه 10.4 سم، قطر الفوهة 6.3 سم، قطر القاعدة 4.6 سم. (الصورة 125)

4 ـ بقايا حذاء صنع من الحديد والجلد، الحذاء الأيمن أكمل من الأيسر.

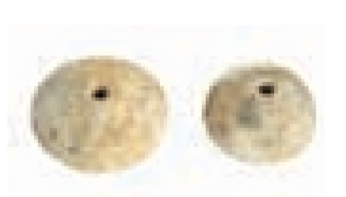
5 ـ فلكتا مغزل حجريتان. (الصورة 126)

6 ـ إسوارة زجاجية صغيرة معتمة اللون. (الصورة 127)

7 ـ أجزاء من أطواق معدنية.

8 ـ بكلة حزام من الحديد.


الصورة 125 ـ لقى القبر 2


الصورة 126 ـ لقى القبر 2


الصورة 127 ـ لقى القبر 2

• القبر (3)

عثر عليه إلى الشمال الشرقي من القبر الأول، يبعد عنه 2 م وله نفس الاتجاه وبشكل مواز له تماماً، لكن منسوبه أعلى من القبر الأول بحدود 25 سم، لم يعثر على أي جدار لهذا القبر إلا في الجزء الشرقي، حيث بقي جزء بسيط من المدماك الأدنى بارتفاع حوالي 35 سم، كما لم يعثر على أي لوح حجري من غطاء القبر، ويبدو أن القبر كان قد تعرض للتخريب بسبب التجريف الذي قام به صاحب العقار قبل اكتشاف المدفن، ولكن يبدو واضحاً أن ارتفاع القبر كان مشابهاً، لم يعثر إلا على بعض الكسر العظمية في هذا القبر وبعض الأواني الفخارية. (الصورة 128)

الصورة 128 ـ القبر 3

اللقى

1 ـ كوب فخاري له عروة، قرميدي اللون. على جسم الإناء زخارف على شكل مضلعات أفقية، القاعدة مسطحة، ارتفاعه 10.7 سم، قطر الفوهة 5.3 سم، قطر القاعدة 4.5 سم.

2 ـ كوب فخاري له عروة، قرميدي اللون، على القسم الأدنى من الإناء زخرفة على شكل مضلعات أفقية، القاعدة مسطحة. ارتفاعه 11.3 سم، قطر الفوهة 5.8 سم، قطر القاعدة 4.3 سم (الصورة 129)

3 ـ حق فخاري صغير، له عروة تلتصق بالشفة وتمتد إلى البطن، اللون بيج، على بطن الحق زخارف على شكل مضلعات. ارتفاعه 7.7 سم، قطر الفوهة 5.2 سم، قطر القاعدة 2.8 سم.

4 ـ حق فخاري صغير، له عروة تلتصق بالشفة وتمتد إلى بطن الحق. اللون بيج، على بطن الحق زخرفة بشكل مضلعات. ارتفاعه 6.7 سم، قطر الفوهة 4.9 سم، قطر القاعدة 2.8 سم. (الصورة 130)



الصورة 129 ـ لقى القبر 3



الصورة 130 ـ لقى القبر 3

خلاصة

يشير الاهتمام الشديد في بناء القبر الأول إضافة إلى اللقى المميزة والغنية التي وجدت فيه، إلى أن الشخصية التي دفنت فيه وهي امرأة كانت ذات مركز اجتماعي وربما ديني مرموق.

هذا التميز غير موجود في القبر الثاني الذي أيضاً كان يخص امرأة إذ أن تقنية بنائه أقل أهمية قياساً بالقبر الأول وإذا ما أضفنا إلى ذلك عدد وقيمة اللقى الأقل أهمية التي وجدت فيه فهذا يشير إلى أن الشخصية التي دفنت فيه كانت ذات شأن مهم لكنها أقل أهمية بالنسبة للقبر الأول.

القبر الثالث هو الأقل أهمية بين القبور المكتشفة جميعاً، وهذا ما يمكن لحظه، رغم التخريب الذي تعرض له.

يلاحظ أن القبور الثلاث كانت مخصصة لدفن الإناث دون الذكور، فهل للموضوع علاقة بالعقائد الدينية وتحولها أم لا.

من خلال اللقى، يمكن تأريخ المدافن بالقرون الثلاث الأخيرة من العصر الروماني (من الثالث وحتى الخامس)

حمود، 2008، ص 119 ـ 130

▲ يشار إلى أنه تم ردم المدافن بعد أن تم تنقيبها وتوثيقها.

خرائب الوعرات البازلتية (الطيبة وزاكية ودورين)

توجد عدة مجموعات من الخرائب في الوعرات البازلتية المنتشرة حول قرى الطيبة وزاكية جنوب دمشق حوالي 25 كم.. وتمتد جنوباً حتى شقحب، وغرباً إلى ما بعد سعسع.

ـ المجموعة الأولى تقع جنوب قرية الطيبة (خربة الطيبة) وتضم بقايا مدينة كبيرة (حوالي 1×1 كم) فيها بقايا معبد ومبنى هرمي ومجموعة منشآت سكنية وغيرها.. إضافة إلى بعض المدافن.

ـ المجموعة الثانية غرب قرية الطيبة (الخربة الغربية)، وتضم مجموعة من أساسات الأبنية الضخمة والمنشآت المختلفة.

ـ المجموعة الثالثة تقع بين قريتي الطيبة وزاكية (الوعر أو خربة زاكية)، وتمثل بقايا مدينة أصغر (500×500 م) بقي منها منشآت مختلفة..

▲ سجلت خربة الطيبة أولاً ضمن المواقع الأثرية السورية بالقرار رقم 389 تاريخ 2005/8/10، ثم عدل القرار ليضم الخربة الغربية وخربة زاكية ليصبح رقمه 479 تاريخ 2010/10/28

ـ المجموعة الرابعة تقع جنوب المجموعة السابقة (الوعرة الوسطى) فيها بقايا تجمعات سكنية صغيرة وبسيطة، وبعض المدافن البسيطة.

ـ المجموعة الخامسة في الأرض المسماة (قلعة زاكية أو شرقريقة) غرب زاكية، وتمتد حوالي 600 م من الشرق للغرب، وحوالي 400 م من الشمال للجنوب، تضم عدداً كبيراً من المدافن.

ـ المجموعة السادسة والأخيرة من الخرائب هي الخربة الممتدة بين دورين والمقروصة شرقاً وحرفا وبيت جن غرباً (5×6 كم)، وتضم عدة تجمعات سكنية، ومجموعات كثيرة جداً من المدافن. تمت دراسة مجموعة من المدافن في المنطقة الواقعة شمال دورين مباشرة، وسميناها (وعرة دورين).

تعود تلك الخرائب لعصور قديمة بدءاً ربما من الألف الخامس قبل الميلاد كما تدل الكسر الفخارية القليلة المكتشفة، ويبدو أنها سكنت باستمرار على مراحل مختلفة ومتباعدة، وبقيت أشكال المدافن متشابهة خلال تلك الفترات.. وكأنها طراز خاص بتلك الجغرافية لا تتعلق كثيراً بمرور الزمن عبر آلاف السنين (الصورة 131).

الصورة 131 ـ منظر عام



المنشآت والعناصر الجنائزية

وجدت عدة أنواع من المدافن في تلك الخرائب، يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

1 ـ نموذج مقبرة جماعية سطحية

وجد مثال على هذا النوع من المقابر في منطقة مستوية تقريباً في الوعرة الوسطى، أبعادها حوالي 75 × 50 م، تلاحظ فيها أكوام من الحجارة متباعدة عن بعضها كل حوالي 10 أمتار، أبعاد هذه الأكوام حوالي 2 ـ 3 م، وارتفاعها حوالي المتر.. تمثل كل منها قبراً من النوع الذي توضع فيه الجثة على سطح الأرض، ومن ثم توضع فوقها كومة كبيرة من الحجارة لحمايتها من الحيوانات (الصورة 132).

▲ المقبرة تقع ضمن منطقة غير مسجلة أثرياً، فرض عليها شرط تنفيذ أعمال تنقيب وتوثيق قبل إزالتها



الصورة 132 ـ مقبرة جماعية سطحية

2 ـ نموذج المدافن المبنية تحت الأرض

A ـ مدفن الطيبة 1973

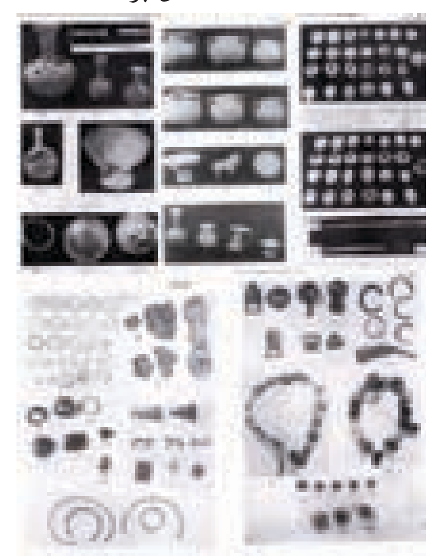
في عام 1973 اكتشف في القرية مدفن مخططه مستطيل طوله 8 م وعرضه 7 م وارتفاعه 1.35 م، بني من الحجارة البازلتية شبه المنحوتة تحت سطح الأرض على طريقة الملاجىء وسقف ببلاطات حجرية مستطيلة شبه منحوتة، يتم النزول إليه بأربع درجات إلى باب عرضه 75 سم كان يغلق بواسطة درفتين حجريتين مفقودتين، بعد الباب يوجد ممر عرضه 1.5 م ينفتح عليه من الشمال ثماني معازب ومثلها من الجنوب.

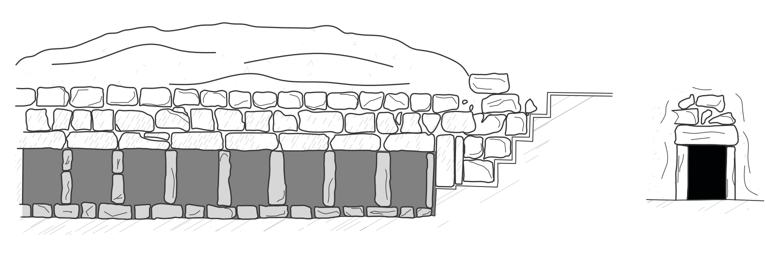
وجدت في المعازب بقايا مهترئة جداً للهياكل العظمية لا يمكن التحقق معها من عدد المدفونين، كما وجدت كمية كبيرة من الأواني الفخارية والأسرجة والقدور والأباريق والقوارير والأواني الزجاجية والحلي (أساور، خواتم، أطواق، أقراط..) إضافة إلى قطع أخرى كالأحزمة والمشابك والأزرار وفأس ورأس مغزل وصليب وتماثيل برونزية صغيرة على شكل أسود.. ويظهر من تاريخ اللقى أنه مدفن عائلي استخدم لعدة أجيال من القرن الثاني الميلادي وحتى القرن السابع الميلادي (الصورة 133 و134).

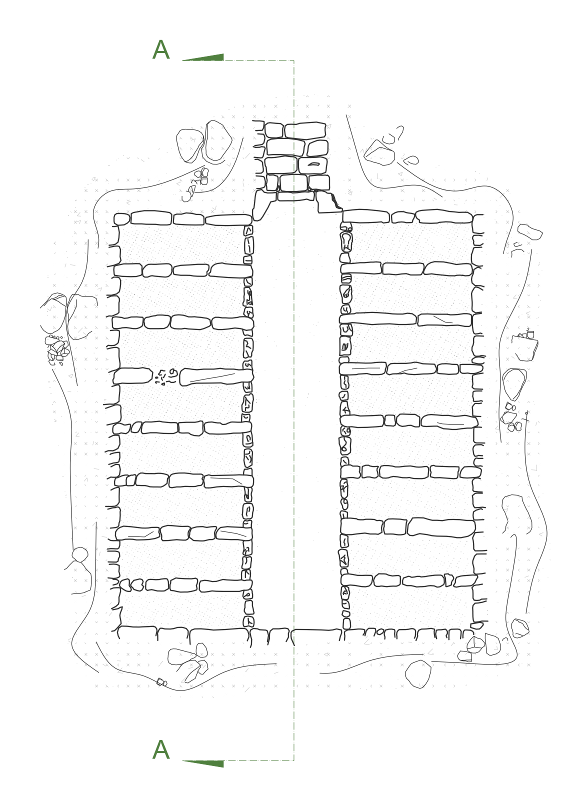
أبو عساف، 1974، ص 189 ـ 214

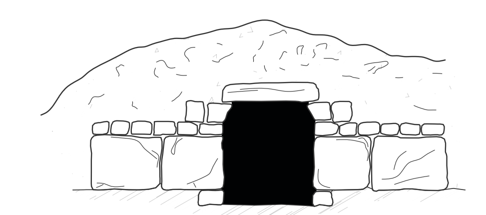
▲ يشار إلى أن المدفن غير موجود حالياً

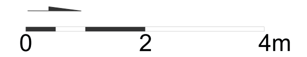
الصورة 133 ـ لقى مدفن الطيبة 1973
(عن أبو عساف 1974)











الصورة 134 ـ مخطط مدفن الطيبة 1973
(إعادة رسم عن أبو عساف 1974)

B ـ مدافن خربة زاكية

وجدت عدة أمثلة على هذا النوع من المدافن، يضم كل منها عدداً من القبور تحت الأرض، خرب قسم كبير منها ونهبت محتوياتها، بنيت الجدران والأسقف من الحجارة البازلتية المقصبة، ويتألف كل مدفن من عدة قبور متجاورة بأشكال مختلفة (الصور من 135 حتى 138).

▲ المدافن محفوظة بشكل متوسط، وهي ضمن المناطق المسجلة أثرياً المذكورة سابقاً.



الصورة 135 ـ من مدافن خربة زاكية



الصورة 136 ـ من مدافن خربة زاكية



الصورة 137 ـ من مدافن خربة زاكية



الصورة 138 ـ من مدافن خربة زاكية

3 ـ نموذج المدافن الحلقية أو الدائرية (تومولوس)

مدافن شرقريقة

توجد مجموعة من هذا النوع من المدافن غرب قرية زاكية، كل مدفن يتألف من مجموعة من القبور المتجاورة المبنية بالحجارة تطل على باحة أو قاعة مركزية، وكل هذه المنشأة محفورة ضمن هضبة، أو مبنية ومردومة بحجارة الهضبة، وأحياناً يحاط المدفن بحلقات دائرية.. الكسر الفخارية على السطح تعود لمختلف العصور بدءاً من القديمة وحتى العربية (الصور من 139 حتى 141).

▲ المدافن واقعة في منطقة مهددة بالزحف العمراني.

الصورة 139 ـ المدفن الحلقي في شرقريقة





الصورة 140 ـ المدافن



الصورة 141 ـ مدخل أحد المدافن

4 ـ نموذج المدافن الرجمية

وهو النوع الأكثر انتشاراً، وفيه كانت توضع الجثث على الأرض الصخرية مباشرة على مرتفعات بارزة، أو على كومة اصطناعية من الحجارة تشكل مرتفعاً بارزاً عما حوله.

ثم تبنى جدران القبر المحيط بالجثة، مسقط القبر عادة بيضوي أو مستطيل، بطول حوالي المترين أو أكثر، وعرض حوالي المتر ونصف، تبنى الجدران بحجارة غشيمة أو مشذبة، قائمة أو تتقارب نحو الأعلى ليتم وضع بلاطات السقف عليها، وأحياناً تكون حجارة الجدران والسقف ضخمة ليصبح القبر شبيهاً بالدولمن.

ثم تبنى دائرة أولى من الحجارة تحيط بالقبر وتبعد عنه عدة أمتار في بعض الحالات، وربما بنيت دائرة ثانية تحيط بها من الخارج على بعد عدة أمتار أخرى، وأحياناً يكون في مركز الدائرة أكثر من قبر.. وأحياناً أخرى تتفرع من الدائرة الخارجية جدران تشكل قاعات وظيفتها غير واضحة.

يعتبر هذا النوع الأكثر انتشاراً في هذه الوعرات.. إذ أنه منتشر في شرقريقة، وخرائب الطيبة وزاكية والوعرة الوسطى.. بعض المدافن من النوع البسيط، قبر بني حوله رجم صغير، وبعضها أكثر تعقيداً من حيث شكل القبر وحجم الرجم والحلقات الدائرية والمنشآت الملحقة (الصورتان 142 و143)..

تمت دراسة منطقتين بشكل واف، هما الوعرة الوسطى ووعرة دورين.

A ـ مدافن الوعرة الوسطى



الصورة 142 ـ مدفن رجمي

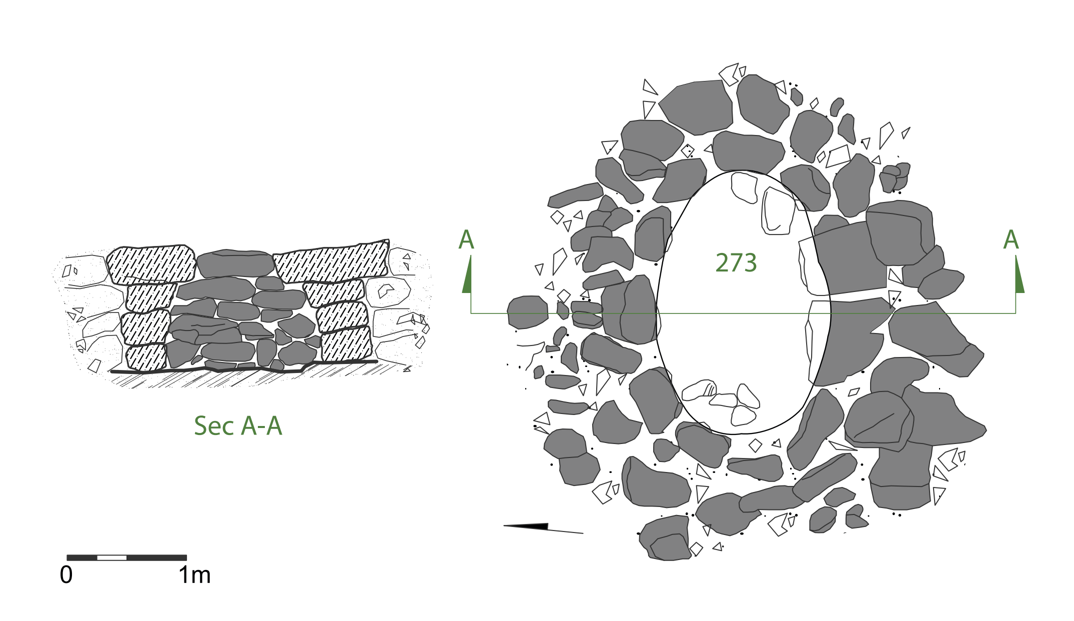


الصورة 143 ـ مدفن رجمي

a ـ القبر رقم 273 في الجزء الجنوبي الشرقي من الوعرة الوسطى، مخططه بيضوي طوله حوالي 220 سم وعرضه حوالي 150 سم، مبني على سطح هضبة، بقي من جدرانه ارتفاع حوالي أقل من متر، وهي مبنية بحجارة مشذبة تتقارب نحو الأعلى ليتم وضع السقف عليها من البلاطات الحجرية أيضاً. اتجاه القبر شرق غرب، محاط بسور دائري يبعد عنه حوالي 3 أمتار (الصور من 144 حتى 146).


الصورة 144 ـ المدفن 273


الصورة 145 ـ المدفن 273



الصورة 146 ـ مخطط المدفن 273

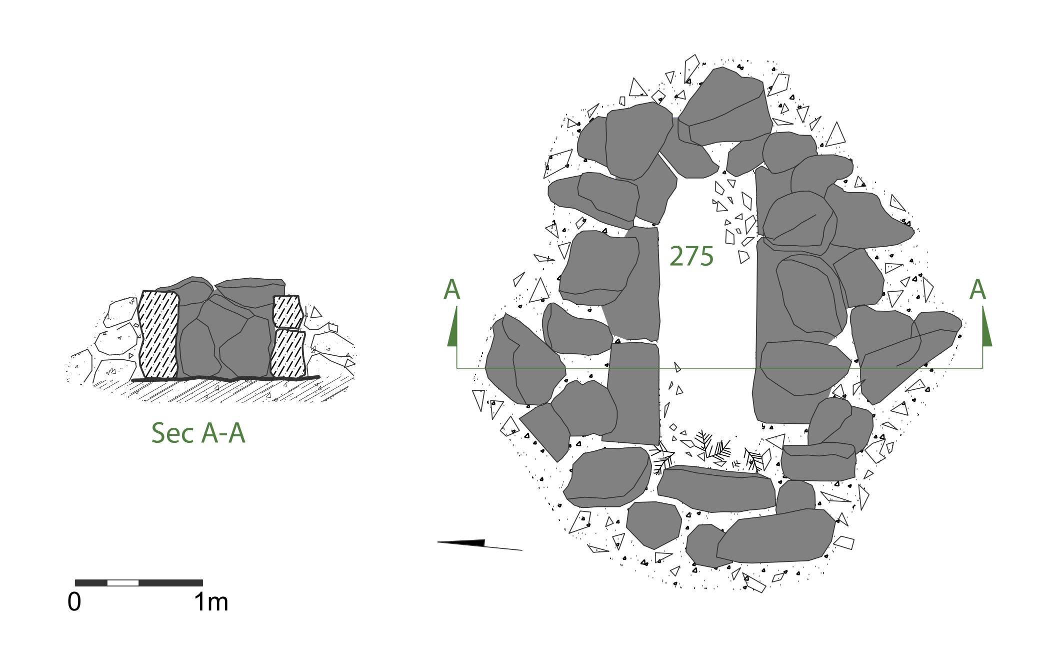
b ـ القبر رقم 275 في الجزء الجنوبي الشرقي من الوعرة الوسطى، مخططه مستطيل طوله 230 سم، وعرضه 75 سم، مبني على هضبة، جدرانه قائمة بارتفاع حوالي 65 سم، اتجاهه شرق غرب، حوله أكوام من الحجارة (الصور من 147 حتى 149).



الصورة 147 ـ المدفن 275



الصورة 148 ـ المدفن 275



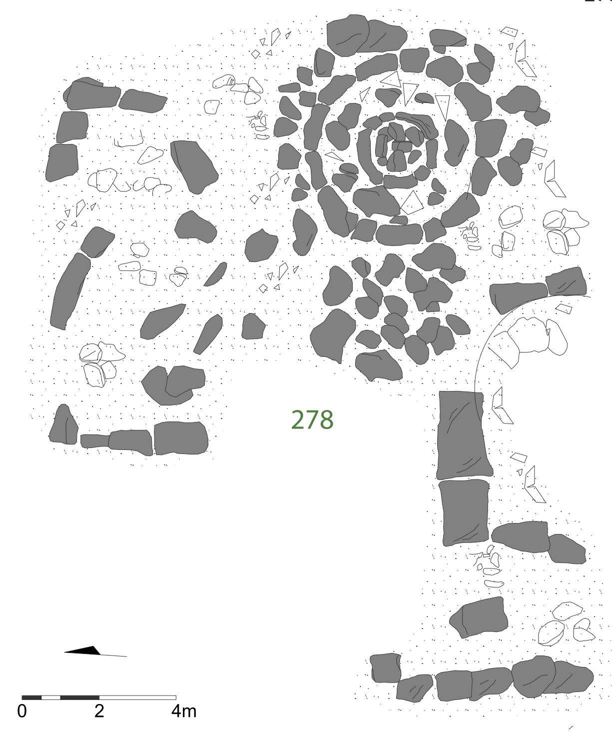
الصورة 149 ـ مخطط المدفن 275

c ـ القبر رقم 278 في الجهة الغربية من الوعرة الوسطى، بني على هضبة، مخططه غير واضح بسبب الانهيارات، ولكن يظهر مخطط دائرة داخلية (قد يكون فيها قبر أو أكثر)، وحولها دائرة أخرى، وتمتد منها بعض الجدران بعدة اتجاهات تشكل ما يشبه القاعات. قد تكون هذه المنشأة ليست قبراً (الصورتان 150 و151).



الصورة 150 ـ المدفن 278

الصورة 151 ـ مخطط المدفن 278



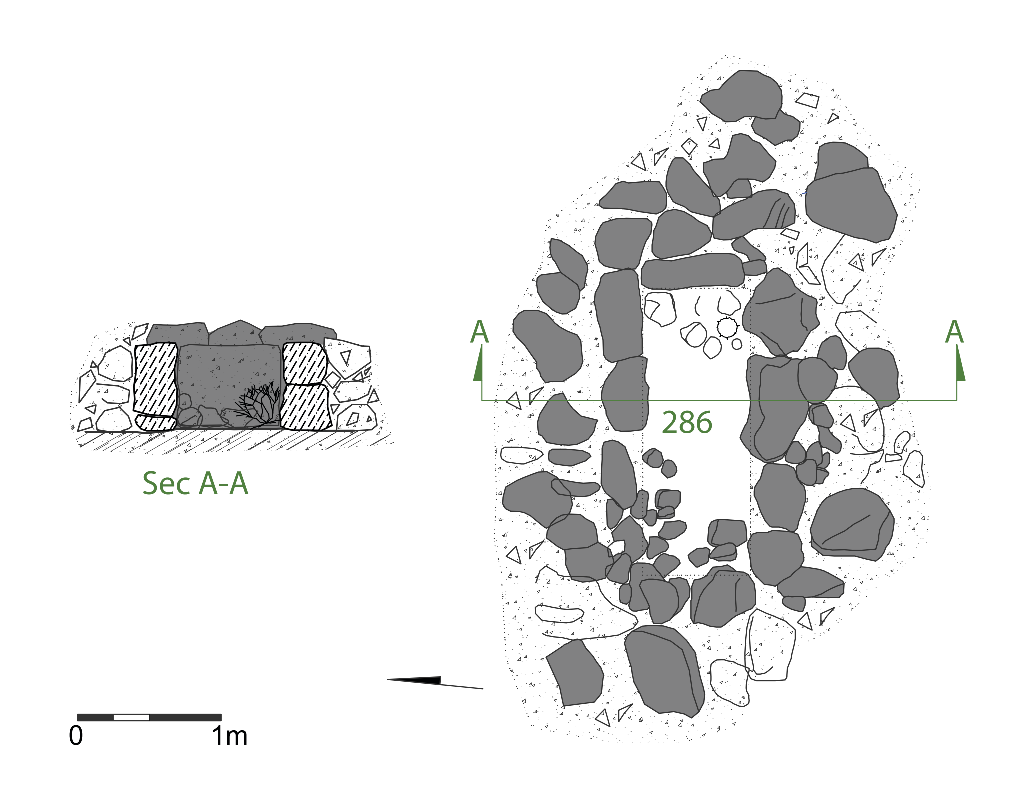
d ـ القبر رقم 286 في الوسط الجنوبي من الوعرة الوسطى، مخططه مستطيل. (الصورتان 152 و153)



الصورة 152 ـ المدفن 286

عميري، 2009، ص 103 - 109

▲ يشار إلى أن هذه المقابر درست دراسة أولية، وستتعرض للإزالة بسبب التوسع العمراني.



الصورة 153 ـ مخطط المدفن 286

B ـ مدافن وعرة دورين

لدى مسح المنطقة أواخر عام 2009 تبين وجود حوالي خمسين مدفناً رجمياً في هذه المنطقة، بعضها متجاور على شكل مجموعة، وأحياناً متباعدة عن بعضها.. تم التنقيب في خمسة وعشرين مدفناً رجمياً، وتبين أن معظم المدافن يتألف من قبر بني بحجارة غشيمة، أبعاده مختلفة بعضها يصل طوله حتى 200 سم وهو مخصص للكبار، وبعضها للصغار لا يتجاوز طوله 130 سم، والعرض شبه ثابت حوالي 60 ـ 70 سم. باستثناء بعض القبور D24، D7، D6، بنيت جوانبها بحجارة كبيرة مشابهة لنموذج الدولمن، وبعضها بقيت أغطيته الحجرية عليه مثل D6، D24. كل هذه القبور وجدت فارغة من العظام، وبعضها فقط وجدت فيه بعض الكسر الفخارية الصغيرة مثل D13، D12، D10، D6، D4، تعود لعصور مختلفة بدءاً من الألف الأول قبل الميلاد وحتى العصر البيزنطي.

لا توجد توجيهات ثابتة للقبور، بعضها شمال جنوب، وبعضها شرق غرب، والبعض الآخر في الاتجاهات المائلة. ولا يوجد ما يشير إلى طريقة الدفن أو أي معلومات متعلقة بها.

حول القبر بني رجم من الحجارة البازلتية العشوائية، ارتفاعه عادة أقل من متر، ما عدا قبر كبير واحد D24 وصل ارتفاع الرجم فيه إلى حوالي المترين.

الرجم عادة دائري أو شبه بيضوي غير منتظم، قطره وسطياً لا يتجاوز الستة أمتار، باستثناء المدفن D24 الذي يصل قطر الرجم فيه إلى حوالي 13 م.

بعض الرجوم، بنيت جدرانها الخارجية بشكل منتظم قليلاً، وبعضها الآخر زود بأكثر من دائرة بحيث يشكل الفراغ بين الدائرتين ما يشبه الممر إلى فسحة القبر أو الممر الدائري المحيط بالقبر.. وقبر واحد D12 وجدت له باحة إلى الشمال منه، وجد منها الجدار الغربي بطول 12 م، والجدار الشمالي بطول 6 م، وفي داخلها بقايا جدارين متعامدين، الأول من الشرق للغرب بطول 2 م، والثاني من الشمال للجنوب بطول 3 م، ويبدو أنهما بقايا منشأة صغيرة وسط الباحة لممارسة بعض الطقوس.
كذلك في المدفن D25 الرجم الداخلي شكله مستطيل، وحوله رجم خارجي دائري، وتظهر بقايا جدار يمتد إلى الشرق بطول 3.5 م، وجدار آخر مائل في الشمال بطول حوالي 4.5 م.
وكنتيجة عامة، يمكن القول أن بعض هذه القبور بنيت منذ الألف الرابع قبل الميلاد حسب نموذج الدولمن الذي انتشر منذ فترة الحضارة الغسولية في فلسطين والأردن واستمر في أماكن كثيرة في الألفين الثالث والثاني مثل خربة الأنباشي والهيجانة .. ويبدو أن بقية المدافن استمر بناؤها حتى العصر البيزنطي، وبعضها أعيد استخدامه لفترات طويلة امتدت حتى العصور المتأخرة وربما حتى قبل عدة عشرات من السنين.

نماذج من المدافن المنقبة:

a ـ المدفن D6

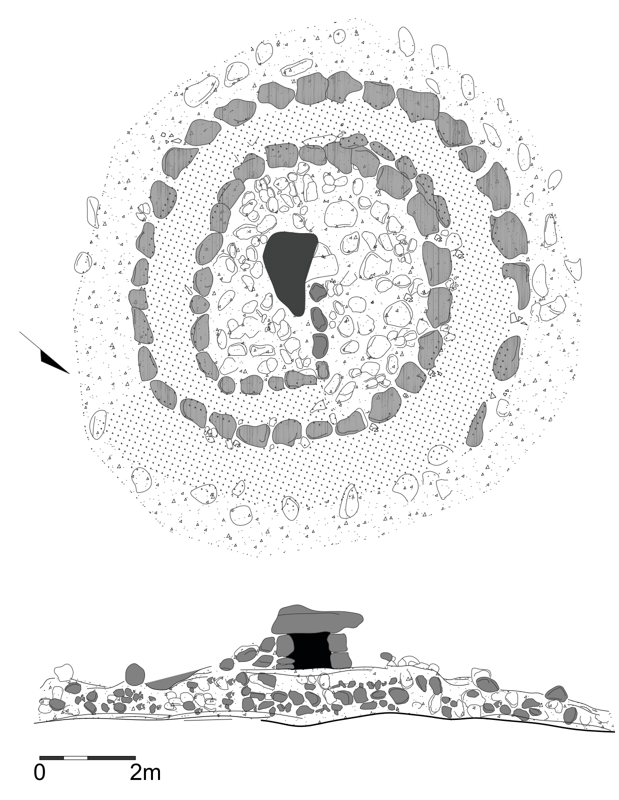
أبعاد القبر: 70×190 سم، عمقه غير واضح بسبب وجود بلاطة التغطية 170×100 سم، نموذج الدولمن.
الاتجاه: شرق ـ غرب
أبعاد الرجم: دائرة قطرها حوالي 10 م.
ارتفاع الرجم: حوالي 150 سم
طريقة بناء الرجم: دوائر تشكل طريقاً حلزونياً إلى دائرة القبر.
ملحقات المدفن: الدوائر المذكورة سابقاً.
العظام: لا يوجد
الفخار: 3 كسر، منها واحدة لشفة إناء، تعود للعصر البيزنطي (الصور من 154 حتى 156).


الصورة 154 ـ المدفن D6


الصورة 155 ـ المدفن D6

b ـ المدفن D10

أبعاد القبر: القبر مخرب، ربما حوالي 80×200 سم
الاتجاه: تقريباً شمال ـ جنوب
أبعاد الرجم: 8×8 م



الصورة 156 ـ مخطط المدفن D6

ارتفاع الرجم: حوالي 70 سم

طريقة بناء الرجم: عشوائية

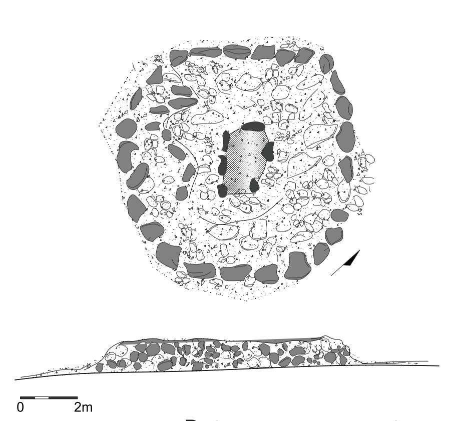
ملحقات المدفن: لا يوجد

العظام: لا يوجد

الفخار: 6 كسرات صغيرة، تعود لأواخر العصر البيزنطي (الصورتان 157 و158).



الصورة 157 ـ المدفن D10



الصورة 158 ـ مخطط المدفن D10

c ـ المدفن D13

أبعاد القبر: 70×100 سم، بعمق حوالي 50 سم

الاتجاه: تقريباً شرق ـ غرب

أبعاد الرجم: 5×6 م

ارتفاع الرجم: حوالي 60 سم

طريقة بناء الرجم: عشوائية

ملحقات المدفن: لا يوجد

العظام: لا يوجد

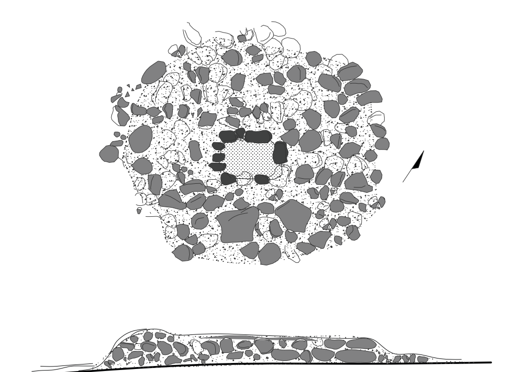
الفخار: 3 كسر صغيرة، تعود لأواخر العصر البيزنطي (الصور من 159 حتى 161).



الصورة 159 ـ المدفن D13



الصورة 160 ـ المدفن D13



الصورة 161 ـ مخطط المدفن D13

d ـ المدفن D25

أبعاد القبر: 60×140 سم، بعمق حوالي 80 سم

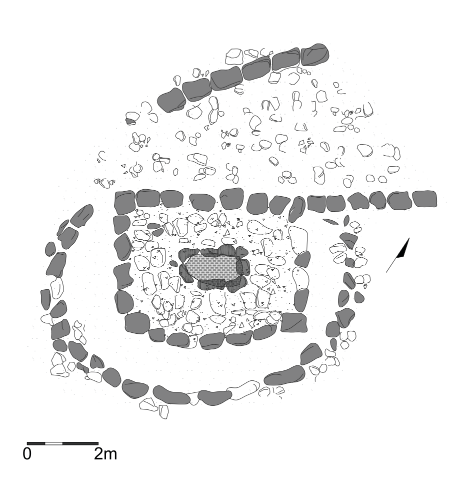
الاتجاه: تقريباً شرق ـ غرب

أبعاد الرجم: 9×6 م

ارتفاع الرجم: حوالي 80 سم

طريقة بناء الرجم: منتظمة، مستطيل يحيط بالقبر، وخارجه بقايا دائرة، وحوله بعض الجدران

ملحقات المدفن: جدار إلى الشرق، وجدار في الشمال، والمدفن يبدو أنه دائرة تحيط بمستطيل داخلها القبر، وحول المدفن بعض الملحقات.



الصورة 162 ـ مخطط المدفن D25

العظام: لا يوجد
الفخار: لا يوجد
(الصور من 162 حتى 164)


الصورة 163 ـ المدفن D25


الصورة 164 ـ المدفن D25

حمود وعميري، 2011، ص 33 ـ 41

▲ يشار إلى أن هذه المدافن نقبت ووثقت وستتم إزالتها لتنفيذ مشاريع عمرانية، علماً أنه توجد نماذج كثيرة منها في المواقع المسجلة ضمن خرائب الوعرات البازلتية.

5 ـ شاهدة قبر من الطيبة

ـ اكتشفت في قرية الطيبة في الخمسينيات من القرن الماضي شاهدة قبر من الحجر البازلتي (أبعادها 95 × 38 سم) نقلت إلى المتحف الوطني، نحت على كل من وجهيها صورة رجل واقف وبيده اليسرى ملف من الورق ويده اليمنى مرفوعة إلى الأعلى.

الريحاوي، 1957، ص 171، رقم 17

خرابات سرغايا

في السفوح الجبلية الواقعة شرق سرغايا وتطل عليها مباشرة، هضبة ممتدة من الجنوب للشمال بطول حوالي 500 م، ارتفاعها عن سطح البحر حوالي 1500 م، تنتشر عليها بقايا قرية قديمة بقي منها جزء من الحجارة المشذبة قليلاً لجدران البيوت، وكميات كبيرة من الفخار الذي يعود للعصر البيزنطي والعصور العربية، وتلاحظ كثافة الحجارة والفخار في السفح الغربي للهضبة المطل على سرغايا بعكس السفح الشرقي الذي حول القسم الأكبر منه إلى أراض زراعية غطتها بساتين الأشجار ولم يبق فيها إلا بعض القطع الحجرية وكميات قليلة من الفخار.

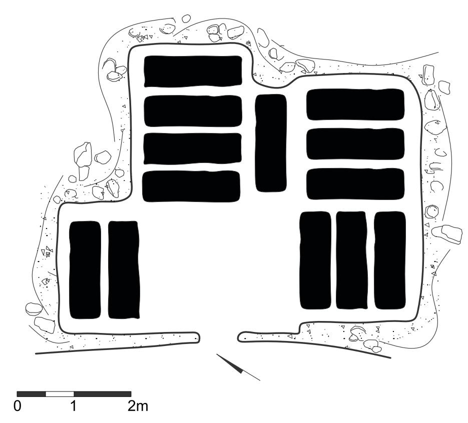
في نهاية السفح الغربي للهضبة، يوجد جرف صخري يعتبر نهاية الهضبة من الغرب، حفر فيه مدفن من الطراز الشائع في العصرين الروماني والبيزنطي، بابه مرتفع قليلاً عن الأرض، فيه 13 قبراً، وأمام المدفن صخرة عليها قاعدة عمود أو مذبح متصلة بها كانت مخصصة لوضع نصب متعلق بالمدفن، وبجانبها صخرة أخرى سوي سطحها بشكل جيد لاستخدامه خلال الطقوس الجنائزية المتعلقة بالمدفن (الصور من 165 حتى 169).

▲ المدفن محفوظ بشكل جيد.

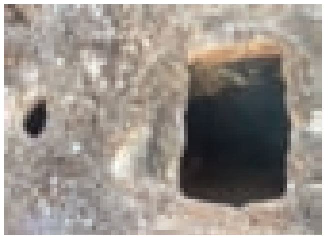
الصورة 165 ـ مدفن خرابات سرغايا



الصورة 166 ـ مخطط مدفن خرابات سرغايا



الصورة 167 ـ بوابة المدفن



الصورة 168 ـ قاعدة النصب



الصورة 169 ـ داخل المدفن



خربة الماطرون

تقع شرق دمشق حوالي 50 كم (شرق الضمير حوالي 4 كم) على ارتفاع حوالي 655 م عن سطح البحر. يضم الموقع بقايا مبنى ضخم (حوالي 225×210 م) مربع الشكل تقريباً له باب في كل ضلع، وأبراج في الزوايا والأضلاع، يشبه قصور الصحراء التي بنيت في العصرين البيزنطي والأموي.. (الصورة 170).


الصورة 170 ـ بقايا الكنيسة





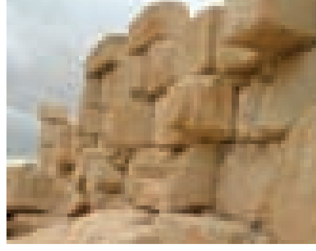
تنفذ في الموقع أعمال تنقيب من قبل بعثة سورية منذ 2006 كشفت عن بعض معالم المبنى والكنيسة والحمام والمنشآت الداخلية.. وتبين أن المبنى هو مركز لمجموعة من الأبنية البسيطة والمزارع التي تحيط به.

استخدمت في المبنى كمية كبيرة من العناصر المعمارية تعود لمبنى ضخم سابق من العصر الروماني (معبد أو معسكر)، مثل التوابيت والسواكف والأعمدة وحجارة البناء..

▲ الموقع محفوظ بشكل جيد ومسجل ضمن المواقع الأثرية السورية بالقرار رقم 111 تاريخ 2007/3/4

العناصر الجنائزية في الموقع

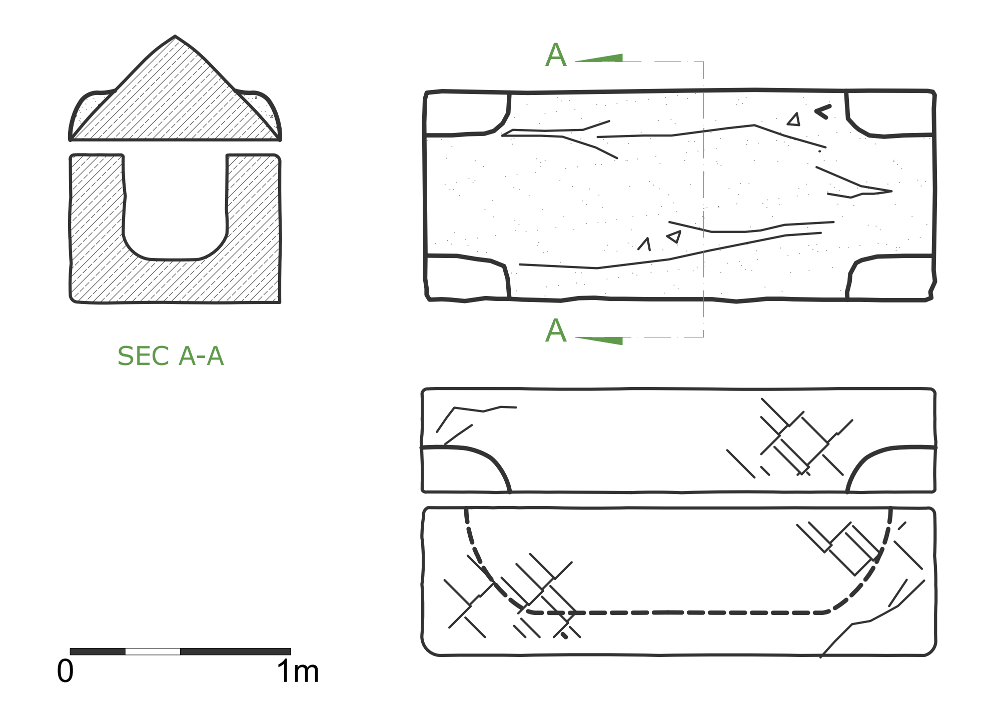
1 ـ داخل المبنى، كما ورد سابقاً، استخدمت عدة توابيت حجرية في بناء الجدران خاصة في مبنى القسم الخارجي من الحمام.. كما توجد توابيت أخرى استخدمت في جدران أخرى داخل المبنى (الصور من 171 حتى 174).

الصور 171 ـ 172 التوابيت المستخدمة في جدران المبنى



الصورة 173 ـ تابوت في باحة المبنى



الصورة 174 ـ مخطط تابوت في باحة المبنى

2 ـ في باحة المبنى، جزء من قطعة حجرية تعود على الأغلب لتابوت حجري نقش عليه تمثال لرجل أو إله غير واضح (الصورتان 175 و176).


الصورة 175 ـ جزء من تابوت بزخارف


الصورة 176 ـ جزء من تابوت بزخارف

3 ـ استخدمت عدة توابيت في بناء جدران الكنيسة الواقعة خارج المبنى في جهة الغرب. (الصورتان 177 و178)


الصورة 177 ـ توابيت في جدران الكنيسة

الصورة 178 ـ توابيت في جدران الكنيسة


4 ـ على بعد حوالي 300 م من الزاوية الجنوبية الغربية للمبنى، يوجد تابوت حجري مخرب، وغطاؤه يبعد عنه حوالي عشرة أمتار، شكله جملوني طوله 205 سم وعرضه 80 سم، على أحد وجهيه زخارف دائرية وأشكال هندسية مخربة (الصورتان 179 و180).

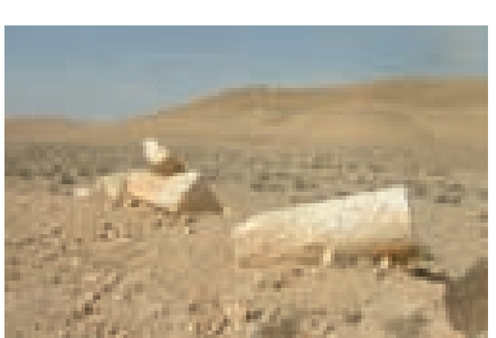
5 ـ شمال غرب المبنى حوالي 200 م، توجد عدة قطع حجرية ضخمة بينها قاعدة عمود




الصورة 179 ـ تابوت خارج المبنى

الصورة 180 ـ غطاء مزخرف لتابوت

على شكل مذبح، جزء من عمود دائري، وتابوت حجري وغطاؤه (الصورتان 181 و182).



الصورة 181 ـ تابوت خارج المبنى



الصورة 182 ـ تابوت خارج المبنى

6 ـ غرب المبنى حوالي 300 م، هضبة مرتفعة عما حولها ناتجة من انهيار مبنى أبعاده حوالي 20 × 20 م، الحجارة الباقية على سطح الهضبة في أماكنها الأصلية منحوتة ومعاد استخدامها، أحدها حجر مسافات عليه أربعة أسطر باللغة اللاتينية (تذكر طريق ستراتا ديوكليسيان)، والآخر جزء من تابوت حجري حفرت على جانبيه الداخليين فجوتان لاستخدامهما لتثبيت جائز عرضي مما يعني استخدامه للمرة الثالثة: تابوت، ثم حجر لتثبيت محور، وأخيراً حجر بناء (الصورة 183).

7 ـ غرب المبنى حوالي 500 م، سبعة أغطية لسبعة توابيت حجرية، أبعاد الأغطية حوالي 1.5 × 2.5 م، الصناديق مردومة ويقال أنها كانت ظاهرة على سطح الأرض سابقاً (الصورة 184).



الصورة 183 ـ تابوت معاد استخدامه



الصورة 184 ـ أغطية توابيت


الصورة 185 ـ نص جنائزي

8 ـ غرب الموقع حوالي 900 م، بقايا حجارة كبيرة ومنحوتة، أحدها جزء من كورنيش، وبقايا أرضيات مما يشير إلى أنه كان يوجد هنا مبنى ضخم، وحجر عليه خرتوش يتضمن أربعة أسطر يونانية (ربما حجر مدفن لجندي من المعسكر الروماني ويذكر فيها أنه من الوحدة الأولى في الجيش) (الصورة 185).

9 ـ مقابر فردية ونواويس محفورة في سفح الجبل المقابل للمبنى في الشمال. (الصورتان 186 و187)

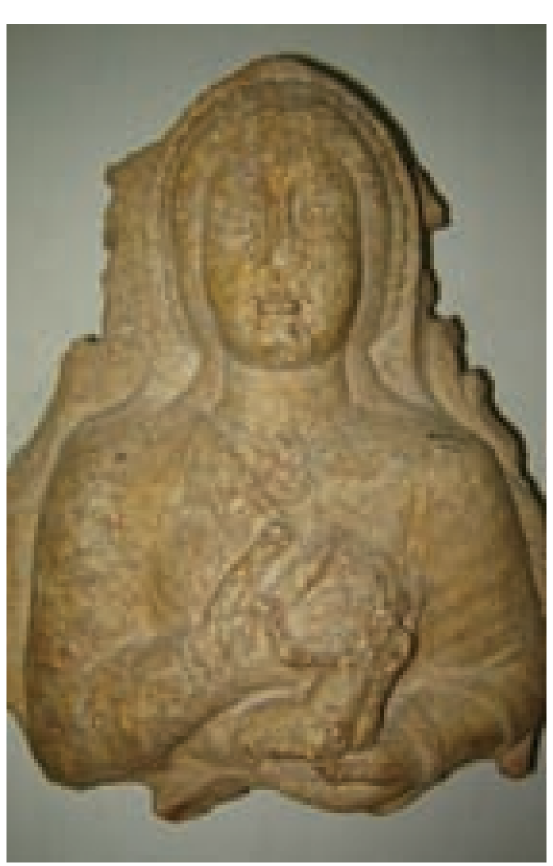

الصورة 186 ـ مدافن في الجبل

الصورة 187 ـ مدافن في الجبل

10 ـ غرب المبنى حوالي 1 كم توجد قبور فردية محفورة بالتراب، ومغطاة بشطحات حجرية.

داريا

تقع جنوب غرب دمشق حوالي 7 كم، على ارتفاع حوالي 700 م عن سطح البحر.
سكنت المنطقة منذ العصر الروماني على الأقل، لم يبق فيها معالم واضحة من ذلك العصر، لكن اكتشف فيها سابقاً عمود من الحجر الكلسي يمثل الحد الفاصل بين قريتين، كما اكتشفت فيها عدة تماثيل موجودة في المتحف الوطني (الصورة 188)، وخلال السنوات القليلة الماضية اكتشفت مجموعة من المدافن ضمن البلدة القديمة وفي المنطقة الممتدة ما بين جنوب داريا وشمال أشرفية صحنايا، كانت تظهر أثناء قيام السكان بحفر أساسات الأبنية الحديثة، بعضها مدافن فردية محفورة في الصخور، وبعضها على شكل نواويس من الطراز المعروف، وأنواع مبنية ببلاطات من الحجارة الكلسية، ومعظم هذه المدافن احتفظ بالجثث وبعض اللقى الأثرية كالحلي والقطع الفخارية والزجاجية.. نفذت أعمال التنقيب والتوثيق اللازمة لتلك المدافن، ومن ثم طمرت واستمرت أعمال البناء.


الصورة 188 ـ تمثال من داريا في المتحف الوطني

المنشآت الجنائزية

1 ـ مدفن 2005

طرازه ناووس محفور في الأرض، يتألف من بوابة خارجية (80×60 سم) تصل إلى فناء (200×175 سم) تحيط به ثلاثة قبور من الجنوب والشمال والغرب حفرت على عمق حوالي 50 ـ 60 سم عن أرضية الفناء، ومفصولة عنه بحواجز صخرية ارتفاعها عن الأرضية حوالي 60 ـ 70 سم وعرض حوالي 20 سم، ليصبح العمق الكلي لكل قبر حوالي 120 ـ 130 سم.

وجدت مجموعة كبيرة من اللقى الزجاجية، والخرز والأساور (الصور من 189 حتى 195).

أشرف على التنقيب محمود حمود.



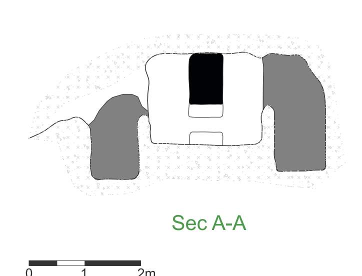
الصورة 190 ـ قبور المدفن

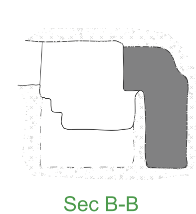


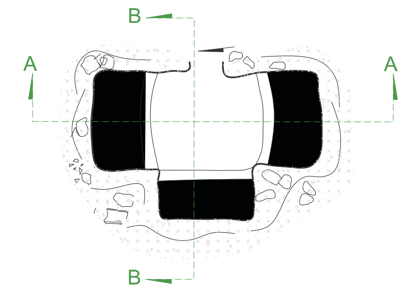
الصورة 191 ـ بوابة المدفن من الداخل



الصورة 189 ـ مدفن داريا 2005







الصورة 192 ـ مخطط المدفن 2005



الصورة 193 ـ لقى المدفن

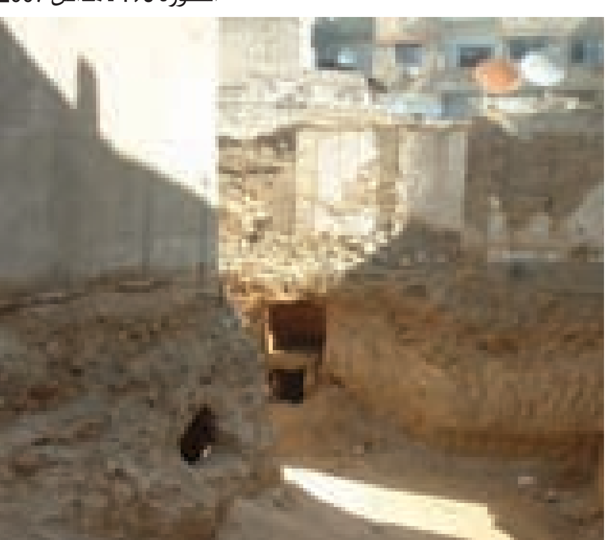


الصورة 194 ـ لقى المدفن



الصورة 195 ـ لقى المدفن

الصورة 196 ـ مدافن 2007



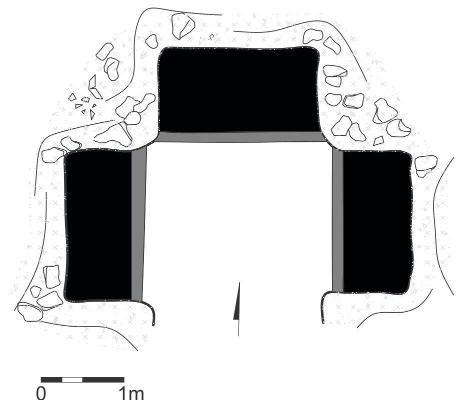
2 ـ مدافن 2007

اكتشف المدفنان قرب بعضهما أثناء تنفيذ أعمال التأسيس لمبنى سكني (الصورة 196)

A ـ المدفن الأول:

عبارة عن ناووس تقليدي، مدخله في الجنوب 100×75 سم، يتم النزول منه إلى الفناء المربع 250×230 سم، ارتفاع

سقفه المقبب حوالي 130 سم، حفرت القبور الثلاثة في الجهات الثلاثة من المدفن ضمن حجرات سقفها قوسي، طول كل قبر 170 ـ 190 سم، وعرضه 80 ـ 100 سم.
وجد في كل من القبور الثلاثة عدة هياكل عظمية متراكمة فوق بعضها بشكل عشوائي، وأحياناً مجموعة في زاوية من القبر.. ويلاحظ أن بعض العظام تعرضت للحرق مما يدل على إحراق جثة الميت خارج القبر ومن ثم وضع العظام في القبر، والحرق كان يتم بشكل رمزي، أي ليس إلى درجة تفحم العظام.
كما وجدت في أرضية أحد القبور بقايا خشبية متآكلة وقطع حديدية من قاعدة تابوت خشبي (الصورتان 197 و198).



الصورة 198 ـ مخطط المدفن الأول 2007

الصورة 197 ـ المدفن الأول

اللقى

مجموعة من الخرز الزجاجي الملون والعقيق والخشب على بعضها زخارف، أساور حديدية مختلفة القياسات بعضها مغلق وبعضها مفتوح في نهايته ثقب، أجراس صغيرة، جزء من غطاء آنية زجاجية، أقراط ذهبية، خواتم حديدية، صليب حديدي كبير في وسطه دائرة مفرغة، صليب حديدي صغير له حلقة في الأعلى، بكلة حزام حديدية، أجزاء من سلاسل معدنية، فلك مغازل حجرية، قلادة معدنية لها حلقة من الأعلى نقش على وجهها ثلاثة أسطر بالأحرف اليونانية غير واضحة، وتحتها رسوم غير واضحة، وعلى الوجه الآخر رسوم غير واضحة أيضاً، خواتم حديدية، أجزاء حديدية من التابوت (الصورة 199).

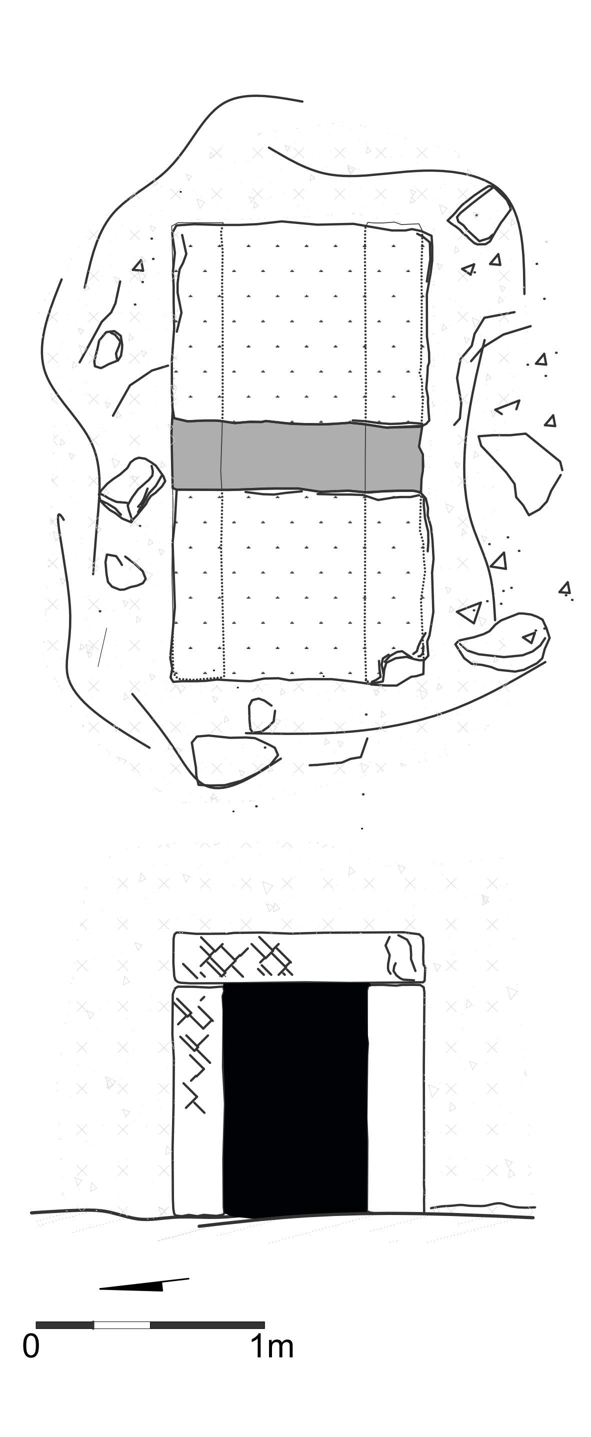


الصورة 199 ـ لقى المدفن الأول

B ـ المدفن الثاني

وهو قبر إفرادي إلى الشرق من المدفن الأول حوالي 6 م، اتجاهه شرق غرب، بني من الحجارة الكلسية القاسية المنحوتة، كل جدار يتألف من حجر واحد بسماكة حوالي 22 ـ 25 سم. طول القبر من الداخل 195 سم، وعرضه 90 سم، وارتفاعه 100 سم. يتألف الغطاء من لوحين حجريين يزيد عرضهما عن عرض المدفن أي 110 سم، وطول كل منهما 85 سم، بقي فراغ بينهما بعرض حوالي 25 سم ليسمح بصب السوائل المساعدة على حرق الجثة الموضوعة في القبر، ومن ثم ردم التراب فوقها حتى يمتلىء القبر، وتشاهد آثار الحريق على الأجزاء السفلية من الجدران الداخلية وعلى العظام، وخارج القبر مما يدل على انتشار الحريق إلى الخارج بسبب إضافة كميات كبيرة من السائل تسربت إلى الخارج.. وبعد إنهاء عمليتي الحرق والردم أغلقت الفوهة بحجارة غشيمة صغيرة.

الهيكل العظمي وضع رأسه للغرب، يخص امرأة، وضع حجر كبير فوق صدره، وحجر صغير على جانبه الأيسر ربما لتثبيت الجثة بوضعية معينة قبل الحرق (الصور من 200 حتى 202).



الصورة 200 ـ مخطط المدفن الثاني 2007



الصورة 201 ـ المدفن الثاني قبل التنقيب



الصورة 202 ـ المدفن الثاني بعد فتحه

اللقى

حليتان ذهبيتان، أربعة نقود برونزية، سراج فخاري.

نستنتج من هذين المدفنين، استخدام عملية الحرق في الفترة الرومانية، واستمرار استخدام المدفن في الفترة البيزنطية، ويبدو أنها مرحلة تحول بين الدين القديم والدين الجديد.

(الصورة 203)

أشرف على التنقيب محمود حمود



الصورة 203 ـ لقى المدفن الثاني

3 ـ مدافن داريا 2010

أثناء تنفيذ الحفريات الخاصة بأساسات أحد المباني، تم العثور على خمسة مدافن متجاورة محفورة في الأرض، متشابهة الطراز، كل منها يتألف من فناء تحيط به ثلاث حجرات دفن قوسية السقف، في كل حجرة قبر واحد ما عدا حجرة واحدة فيها قبران.

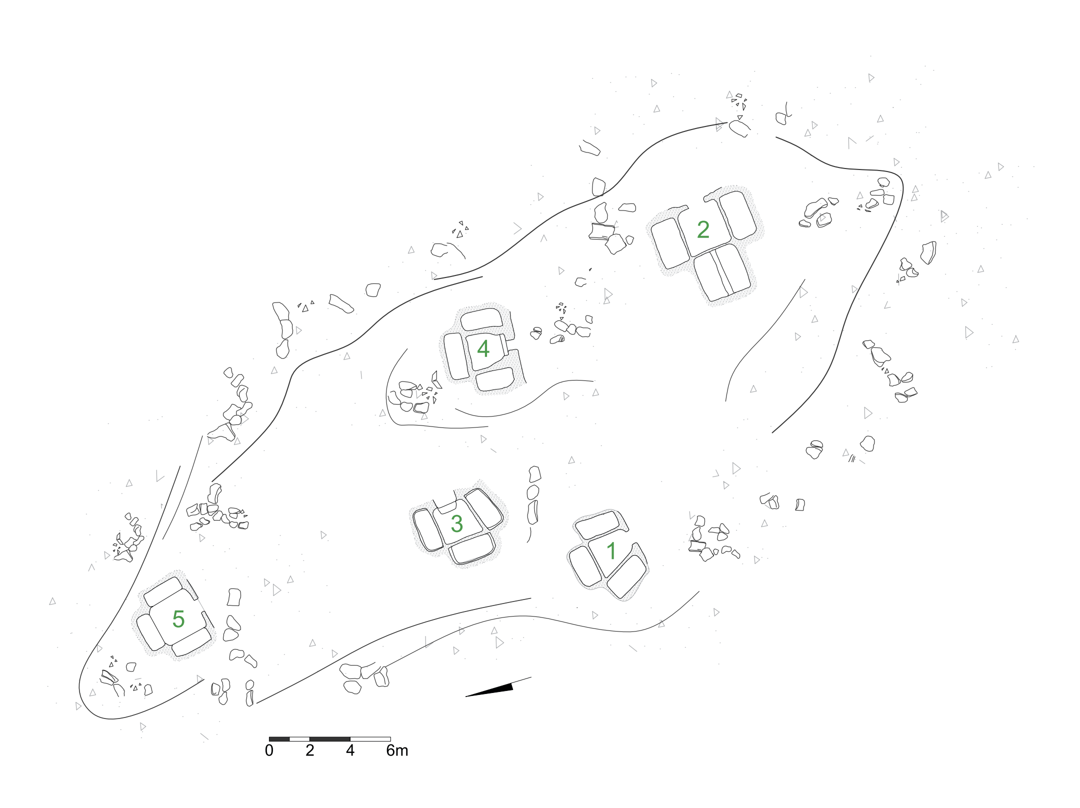
المدخل عبارة عن سرداب هابط تدريجياً (مقطعه مستطيل أو شبه دائري) يصل إلى أرضية الفناء أو فوقها قليلاً حيث توجد درجة.. الفناء مربع أو شبه منحرف أبعاده بين 130 ـ 200 سم، أرضيته أعلى من أرضية القبور حوالي 10 ـ 25 سم، ارتفاع السقف حوالي المترين، الفناء مفصول عن القبور بجدران ارتفاعها حوالي 50 ـ 60 سم، وسماكتها حوالي 15 ـ 25 سم.

أبعاد القبور: الطول بين 225 ـ 185 سم، والعرض 85 ـ 135 سم.

معظم القبور وجدت فيها هياكل عظمية متراكمة فوق بعضها (بين 6 ـ 8 هياكل في بعض القبور)، وجمعت الجماجم في جهة واحدة من القبر.



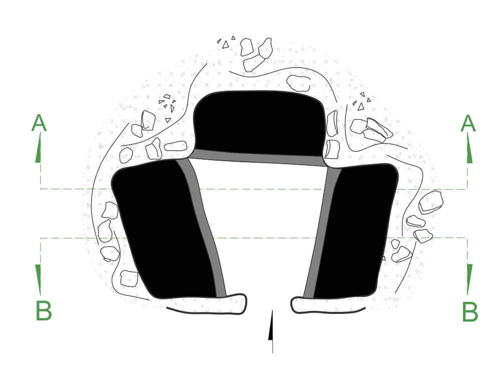
الصورة 204 ـ مدافن 2010

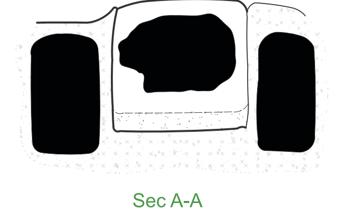


الصورة 205 ـ مخطط موقع مدافن 2010



الصورة 206 ـ المدفن الأول





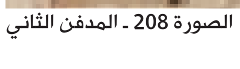
Sec A-A

Sec B-B

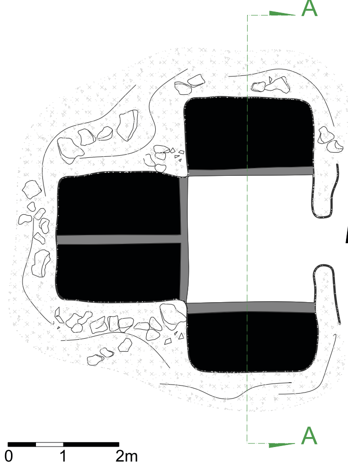


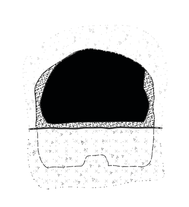
الصورة 207 ـ مخطط المدفن الأول 2010

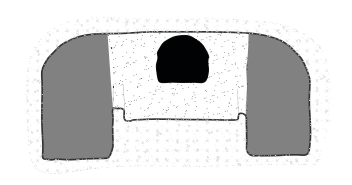




الصورة 208 ـ المدفن الثاني







Sec A-A

الصورة 209 ـ مخطط المدفن الثاني 2010

الصورة 210 ـ المدفن الثالث

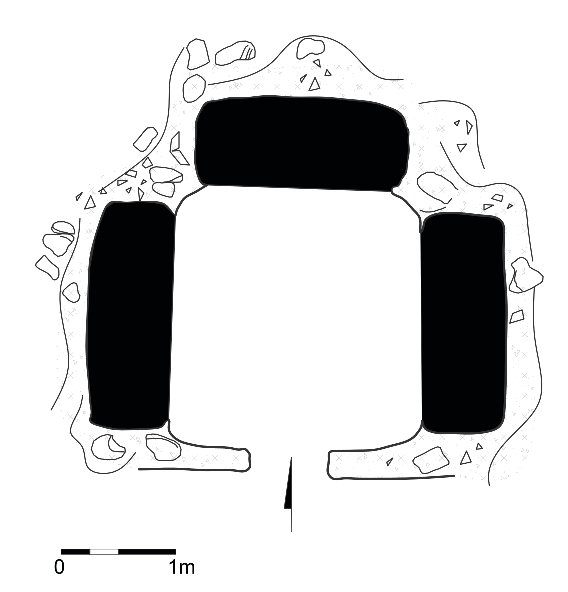
الصورة 211 ـ مخطط المدفن الثالث 2010

الصورة 212 ـ المدفن الرابع



الصورة 213 ـ مخطط المدفن الرابع 2010


الصورة 214 ـ المدفن الخامس



الصورة 215 ـ مخطط المدفن الخامس 2010

اللقى:

أساور معدنية، خرز، صليب معدني، حلي ذهبية، مدامع زجاجية، أوان فخارية (الصور من 204 حتى 218).

أشرف على التنقيب محمود حمود


الصورة 217 ـ بعض لقى مدافن 2010


الصورة 216 ـ بعض لقى مدافن 2010


الصورة 218 ـ بعض لقى مدافن 2010